البابا شنودة الثالث

سلسة

الإيمان والرجاء والمحبة

(1)

حياة الإيمان

Life of Faith

by H.H. pope Shenouda III

2nd print
July 1987

الطبعة الثانية
يوليو ١٩٨٧

الكتاب : حياة الأيمان

المؤلف : قداسة البابا شنودة الثالث

الطبعة : الثانية يوليو ١٩٨٧

المطبعة : الأنبا رويس بالعباسية

رقم الإيداع بدار الكتب : ٥٠٦٣ / ١٩٨٤

فهرست

	صفحة
قصة هذا الكتاب	٦
مقدمة	٧
الفصل الأول : ماأعظم الأيمان	٩
الفصل الثانى : ما هو الأيمان	١٣
الأيقان بأمور لاترى	٢١
الفصل الثالث : درجات وأنواع من الأيمان	٣٥
الفصل الرابع : علاقة الأيمان بالسلام وعدم الخوف	٤٧
الفصل الخامس : علاقة الأيمان بنقاوة القلب	٥٧
الفصل السادس : بساطة الإيمان	٦٣
الفصل السابع : طاعة الإيمان أو حياة التسليم	٦٩
وهو لايعلم إلى أين يذهب	٧٩
الفصل الثامن : مايقوى الإيمان	٨٣
الفصل التاسع : مايضعف الأيمان	٩٣
الفصل العاشر : إختيار الأيمان (هل أنتم فى الأيمان)	١٠٥

قصة هذا الكتاب

إنه ثمرة أكثر من ١٥ محاضرة ألقيت كلها فى الكاتدرائية الرقسية بدير الأنبا رويس بالقاهرة (ماعدا الثلاث محاضرات الأولى) . وقد حان الآن نشرها بناء على دعوة من مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي قرر عقد اجتماع عن الإيمان في منتصف سبتمبر ١٩٨٤ .

أما هذه المحاضرات - مصدر هذا الكتاب - فهي حسب تواريخها كالآتي :

١ - محاضرة ألقيت في مؤتمر عن الإيمان عقد في كنيسة المنصورة يوم ١٩٦٦/٦/١ .

٢ - ٣ - محاضرتان عن الأيمان ألقيتا في القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس يومي الجمعة ١٩٦٦/٧/٨ ،
١٩٦٦/٧/١٥ .

٤ - ٧ - أربع محاضرات ألقيت في الكاتدرائية الكبرى سنة ١٩٧١ تأملاً في " كما قسم لكل واحد نصيباً من الأيمان " (رو١٢ : ٣) .

٨ - محاضرة عن الأيمان ألقيت في الكاتدرائية الكبرى في أواخر مايو سنة ١٩٧٣ بمناسبة عودة رفات القديس أثناسيوس إلى القاهرة .

٩ - محاضرة عن عوائق الأيمان ألقيت يوم الجمعة ٢٣ /٥ / ١٩٧٥ .

١٠ - محاضرة يوم الجمعة ٢٢ / ٢ / ١٩٨٠ ، موضوعها (ناظرين إلى ما لا يرى) .

١١ - محاضرة يوم الجمعة ٢٥ / ٧ / ١٩٨٠ ، موضوعها (بساطة الأيمان) .

١٢ - محاضرة يوم الجمعة ٢٦ / ٩ / ١٩٨٠ ، موضوعها (لايعلم إلى أين يذهب) .

١٣ - محاضرة يوم الجمعة ٣ / ١٠ / ١٩٨٠ ، موضوعها (الإيقان بأمور لاترى) .

١٤ - محاضرة يوم الجمعة ١٤ / ٨ / ١٩٨٠ ، موضوعها (طاعة الأيمان) .

١٥ - محاضرات متفرقة نشرت فى مجلة الكرازة .

وقد سجلت هنا هذه التواريخ لمن يريد أن يحصل على التسجيلات الصوتية الخاصة بحياة الأيمان ، راجياً للقارئ العزيز حياة مملوءة بالأيمان .

البابا شنودة الثالث

مقدمة

ليس الأيمان هو مجرد اعتناق مجموعة من العقائد ، تتلوها في " قانون الأيمان " ... إنما الأيمان هو حياة تحياها أو هو عقيدة تقود إلى حياة ...

لأنه ما فائدة الأيمان بالله ، بدون أن تكون لك علاقة بهذا الإله : تطيعه وتحبه ، وتكون لك عشرة معه تؤهلك إلى عشرة دائمة في ملكوته ؟!

وما فائدة الأيمان بالأبدية والحياة بعد الموت ، إن لم تعد نفسك لها بالتوبة ، وبالسهر الروحي الدائم ، وبمحبة الله . وما فائدة الأيمان بالفضيلة ، إن كنت لاتحياها . لذلك فإن هناك فرقاً كبيراً جداً بين الأيمان النظري الذي لايخلص النفس ، والأيمان العملي الذي تظهر ثماره في حياتك . وهكذا تحيا حياة الأيمان ... إننا من أجل حياة الأيمان ، وضعنا كتابنا هذا ... نشرح لك ما هو الأيمان ، وماهى درجاته وأنواعه ، وما أهمية الأيمان في حياتنا ، وما عظمته ... ؟

ولقد أردنا أن نقف قليلاً عند قول القديس بولس الرسول :

" جربوا أنفسكم : هل أنتم في الأيمان ؟ إمتحنوا أنفسكم " (٢ كو ١٣ : ٥) .

فليس كل إنسان يقول إنه مؤمن ، هو مؤمن بالحقيقة . بل القياس لذلك هو قول الرب " من ثمارهم تعرفونهم " (متي ٧ : ١٦) .

لأن هناك من له إسم المؤمن ، وليس له قلب المؤمن ، ولا حياة المؤمن .

فما هي حياة المؤمن هذه ؟ حياة الأيمان ترتبط بالسلام والاطمئنان وعدم الخوف . فإن وقع في الخوف يقول له الرب " يا قليل الأيمان ، لماذا شككت " (متي ١٤ : ٣١) . وحياة المؤمن ترتبط بنقاوة السيرة ، لأن المؤمن يشعر دواماً أن الله أمامه يرى ويسمع ويسجل كل ما يعمله . لذلك يشعر بالاستحياء ، ويخاف أن يخطئ أمام الله . وحياة المؤمن هي حياة التسليم للمشيئة الإلهية ،في الأيمان كامل أن الله هو صانع الخيرات ، وكل ما يسمح به هو خير . لذلك بالإيمان يعيش أولاد الله في هدوء وفي فرح وفي رضى بكل ما يريده الرب لهم . وحياة الأيمان ، لاترى شيئاً مستحيلاً على الرب . بل كما يقول : " **كل شئ مستطاع للمؤمن** " (مر ٩ : ٢٣) .

لذلك فإن المؤمن لايهتز في أية ضيقة تحل به ، بل يؤمن تماماً أن الله عنده حلول كثيرة ، وأنه لابد سيتدخل ويصنع مشيئة ... المؤمن لايجادل الله ولا يناقشه فيما ، بل يقبل كل شئ بثقة كاملة في حكمة الله وفى محبته .المؤمن ينظر دائماً إلى لايرى ، أكثر مما ينظر إلى المرئيات "لأن الأشياء التى ترى وقتية ، أما التى لاترى فأبدية " (٢ كو ٤ : ١٨) . إن أبطال الأيمان ليسوا هم فقط الذين دافعوا عن العقيدة ، وإنما هم الذين عاشوا في الأيمان الحي المثمر العامل بالمحبة ... وهذا الكتاب الذي بين يديك يعطيك فكرة مبسطة عن حياة الأيمان كيف تكون ؟ وكيف تختبر عملياً هل أنت في الأيمان .

البابا شنودة الثالث

الفصل الاول

لعل أهمية الأيمان تبدو واضحة في قول الرسول عن الرب :

"بدون إيمان ، لايمكن إرضاؤه " (عب ١١ : ٦) .

وتبدو أهمية الأيمان أيضاً ، في أن الرسول قد وصفه بأنه إحدى الفضائل الثلاث الكبار " الأيمان والرجاء والمحبة " (١ كو ١٣ : ١٣) ، وذكر أنه الوسيلة التى يحيا بها الإنسان البار فقال :

" أما البار ، فبالإيمان يحيا " (عب ١٠ :٣٨) .

والأيمان هو بدء الطريق الموصل إلى الله . لأنه كيف يمكن أن تثبت في الله ، والله فيك ، وكيف يمكنك أن تسير مع الله وتحفظ وصاياه ، إن لم تؤمن أولاً بوجوده وبصفاته الإلهية ، وتؤمن بكتابه وبكل ما ورد فيه ... ؟

الأيمان إذن هو بدء الطريق إلى الله . وأول الشروط اللأزمة للخلاص

حسب قول الرب نفسه " من آمن واعتمد خلص " (مر١٦ : ١٦) ، " لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو٣ : ١٦) ، " الذي يؤمن به لايدان ، والذي لايؤمن به قد دين ... " (يو٣ : ١٨) . كما وبخ اليهود قائلاً :" إن لم تؤمنوا أنى أنا هو ، تموتون في خطاياكم " (يو٨ :٢٤) إن دم المسيح موجود ، قادر أن يخلص كل أحد . ولكنه لايخلص بدون إيمان . ولهذا قال القديسان بولس وسيلا لحافظ السجن في فيلبى " آمن بالرب يسوع ، فتخلص أنت وأهل بيتك" (اع ١٦: ٣١) .

من أجل هذا الأيمان كتبت الأناجيل ، وكرز بها الرسل .

وهكذا يقول القديس يوحنا الإنجيلي فيما كتبه بوحي من الروح القدس " ... أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح إبن الله ، ولكن تكون لكم إذا آمنتم حياة بإسمه " (يو٢٠ : ٣١) .

الأيمان هو بدء الحياة مع الله ، وهو رفيق الطريق طول هذه الحياة ، لذلك من أهمية الإيمان علاقته بالبر. وهكذا يتحدث الرسول عن البر الذي حسب بالإيمان (عب ١١ : ٧) ، وعن الإيمان الذي حسب براً (يع ٢ : ٢٣) . ويتحدث الكتاب عن التبرير بالإيمان (رو ٥ : ١) .

والإيمان هو العنصر الأساسي اللازم لصنع المعجزات ، ولتقبلها :

لهذا ما أعظم قول الرب لأعمى أريحا بارتيماوس : " إيمانك قد شفاك " (لو١٨ :٤٢ ،مر١٠ :٥٢) . وما أجمل قوله لذلك الأبرص الذي طهر " إيمانك خلصك " (لو١٧ : ١٩) . وهكذا قال أيضاً لنازفة الدم " ثقي ياإبنة : إيمانك قد شفاك " (متي ٩ : ٢٢) .كذلك فإنه لما سمع الأعميين اللذين صرخا " إرحمنا يا ابن داود " ، قال لهما : " بحسب إيمانكما ليكن لكما " فانفتحت أعينهما (متى ٩ : ٢٩) .ومن الناحية الأخرى ، نرى أن السيد الرب لما جاء إلى وطنه " لم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم " (متى ١٣ : ٥٨) .

إن قوة الله قادرة أن تصنع معك الأعاجيب . ولكنها تنتظر إيمانك.

وحسب إيمانك يعطيك . ولهذا فإن المعجزات تحدث مع البعض ، ولا تحدث مع البعض الآخر ، مع أن قوة الله هي هي .ولكن ماذا عن الشخص ضعيف الأيمان ؟ هذا عليه أن يصلى مع أبى الولد الذي عليه روح الأخرس قائلاً : " أؤمن يا سيد فأعن عدم إيماني " (مر ٩ : ٢٤) . وهنا نقول إنه في غالبية الأحوال يصنع الله المعجزة بحسب الإيمان ، ولكن ... في أحيان أخرى يصنع المعجزة لكي نؤمن .وهكذا في الحالين ، يرتبط الإيمان بالمعجزات : فإما أن يكون سابقاً لها ، وإما أن يكون نتيجة لها ... إن الإيمان – أياً كان نوعه – هو قوة . يكفى أن يؤمن الإنسان بفكرة ، فتراه يعمل بقوة المسيح لكي ينفذها . الإيمان يعطيه عزيمة وإرادة وجرأة ما كانت عنده من قبل . حقاً حيثما يوجد الإيمان ، توجد معه القوة . فالصلاة المملوءة إيماناً ، هي الصلاة القوية . الذي يؤمن بالصلاة وفاعليتها ، تراه يصلي بحرارة وإيمان وقوة . والعظة التى يقولها إنسان وهو مؤمن بكل كلمة فيها ، تكون عظة قوية ، ينتقل بها إيمانه إلى قلوب الناس .

ومن أهمية الإيمان أيضاً إرتباطه بعديد من الفضائل ، تنبع منه :

فمن نتائج الإيمان القوة ، والطمأنينة ، والشجاعة ، والسلام القلبي ، وعدم الخوف ، وعدم القلق . ومن ثماره أيضاً : حياة النقاوة والبر وحياة التسليم الكامل لله ، وحياة التجرد والزهد ، وحياة الصلاة ...

وفضائل عديدة أخرى ونحن نعدك أيها القارئ العزيز ، أننا لا ننتهي من هذا الكتاب ، حتى نحدثك عن هذا كله بمشيئة الله .

أما الآن فنريد أن نسأل : ما هو هذا الإيمان ؟

ما هو هذا الإيمان ، الذي من نتائجه الخلاص والتبرير ؟

وما هو هذا الإيمان الذي من نتائجه كل هذه الفضائل ؟

وما هو هذا الإيمان ، الذي يقدر على صنع الآيات والعجائب ، والذي قال عنه الرب :

" كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٩ : ٢٣) .

الفصل الثانى

ما هو الإيمان

الايقان بامور لاترى

" جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان ...
إمتحنوا أنفسكم " (٢ كو ١٣ : ٥)

ما هو الإيمان

كلمة لإيمان قد يدعيها كل إنسان يعبد الله ...
وربما لا يكون مؤمناً بالحقيقة ...

قد يكون له إسم المؤمن ، ولكن ليس له قلب المؤمن .

ليس الإيمان هو أن يولد الإنسان من أسرة متدينة تؤمن بوجود الله ، فيصير مؤمناً تلقائياً بوجود الله . إنما الإيمان له معنى أو معان أعمق من هذا بكثير ... نعم له معنى قد يشمل الحياة الروحية كلها ، وله معنى قد يصنع الأعاجيب . في إحدى المرات لم يستطيع تلاميذ الرب أن يخرجوا شيطاناً من إنسان مصروع ، فسألوا الرب عن سر ذلك فقال لهم " لعدم إيمانكم " (متى ١٧ : ٢٠) ... ووبخ الجمع قائلاً : " أيها الجيل غير المؤمن الملتوي " (متى ١٧ : ١٧) .ليكن ذلك الجيل غير مؤمن . ولكن رسل المسيح نفسه ، أنطلق عليهم حينذاك عبارة " عدم إيمانكم " ؟ ... يا للهول . وهنا يستطرد المسيح قائلاً لتلاميذه : " الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل : إنتقل من هنا إلى هناك . فينتقل " (متى ١٧ : ٢٠) .

حقاً ، ما هو هذا الإيمان ، الذي حبة خردل منه ، تستطيع أن تنقل الجبل ؟!...

لذلك حسناً قال الرسول : " إختبروا أنفسكم : هل أنتم في الإيمان ؟ إمتحنوا أنفسكم " (٢كو١٣: ٥) . على أن الكتاب يروى لنا شيئاً عجيباً ... أخطر من هذا بكثير ... فما هو ؟ إنه حال إنسان يبدو مؤمناً بالرب ويصلى ، ويصنع المعجزات ، وهو غير مؤمن بالحقيقة ! بل غير مقبول أمام الله ! هوذا الرب

نفسه يقول : " ليس من يقول لى يارب يارب ، يدخل ملكوت السموات ... " (متى ٧ : ٢١) .

ويتابع الرب كلامه قائلاً : " كثيرون سيقولون لى في ذلك اليوم : يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط . إذهبوا عنى يا فاعلي الإثم " (متى ٧ : ٢٢ ، ٢٣) . ماذا نسمى هؤلاء الذين يقولون يارب يا رب ... باسمك صنعنا كذا وكذا ... ؟ أهم مؤمنون بالحقيقة ؟!

ربما يكون هذا إيماناً ظاهرياً ، إيماناً شكلياً، أو إيماناً بالإسم ، أو مجرد إيمان عقلي ، ولكنه ليس إيماناً حقيقياً مقبولاً أمام الله !

فما هو إذن الإيمان الحقيقى المقبول أمام الله ؟ نسأل الرب فيجيب :

" ليس كل من يقول لى يارب يارب ... بل الذي يفعل إرادة أبى الذي في السموات (متى ٧ : ٢١) . ويذكرنا هذا أيضاً بقصة العذارى الجاهلات اللائى استعملن أيضاً عبارة يارب يارب ووقفن وراء الباب المغلق يقلن : ياربنا ياربنا إفتح لنا . فسمعن منه تلك الإجابة الصريحة المرعبة " الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن " (متى ٢٥ : ١٢) .

إن عبارة يارب لاتفيد مطلقاً ، إن كنت تنتظر العريس بمصباح لا زيت فيه ، أو إن جيئت بعد أن أغلق الباب ...

ما هو ، الإيمان إذن ؟ وما علاقته بالزيت الذي يرمز إلى الروح القدس ، وإلى المسحة المقدسة ؟ وما علاقته بمشيئة الآب الذي في السموات ؟ إنه هذا الإيمان الحي ، المقبول من الله ، كما سنشرح بالتفصيل فيما بعد ...

إذن الإيمان ليس مجرد عقيدة ، إنما هو أيضاً حياة .

يمكن أن تختبره بثماره في حياتك ... فهكذا قال الرب " من ثمارهم **تعرفونهم** ... كل شجرة جيدة تصنع أثماراً ردية . ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة . فإذن من ثمارهم تعرفونهم"

(متى ٧: ١٦-٢٠) . بهذا تختبر نفسك: هل إيمانك له ثمر ؟ لأنه من ثمارهم تعرفونهم .

وهكذا يعلمنا القديس يوحنا الحبيب : " بهذا نعرف أننا قد عرفنا ... " ، كيف ؟ " إن حفظنا وصاياه " ، " من قال قد عرفته ، وهو لايحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس الحق فيه ... " (١يو ٢ : ٣ ، ٤) ... إذن الإيمان يختبر بحياة الطاعة لوصايا الله . والذي لا تكون له هذه الطاعة لايعتبر مؤمناً بالحقيقة . بل لا نقول عنه إنه قد عرف الله ...

إن هناك وسائل كثيرة لاختبار الإيمان ، سنحدثك عنها في باب خاص .

والقديس بولس الرسول يقدم لنا قائمة رائعة لرجال الإيمان في رسالته إلى العبرانيين (عب ١١) . وكلهم من ذلك النوع الذي ظهر الإيمان في حياته الخاصة ... مثل أبينا أخنوخ الذي لم يقل الكتاب عنه إنه دافع عن عقيدة معينة ، كالقديس أثناسيوس الرسول الذي دافع عن العقيدة ضد الأريوسية ، أو كالقديس كيرلس الكبير الذي دافع عن العقيدة ضد النسطورية ، ومثل باقي أبطال الإيمان في العقيدة ... إنما كان أخنوخ من أبطال الإيمان ، لأنه " أرضى الله " (عب ١١ : ٥) . أو كما قال سفر التكوين " وسار أخنوخ مع الله " (تك ٥ : ٢٢ ، ٢٤) . وأنت قد لا تكون لاهوتياً عميقاً في المعرفة مثل القديس أثناسيوس أو القديس كيرلس . ولكنك بلا شك في إمكانك أن تحيا في منهج أبينا أخنوخ الذي سار مع الله وأن تحيا مثل باقي رجال الإيمان الذين ذكرهم القديس بولس الرسول الذين " أقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... وكانوا يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً " (عب ١١ : ١٣، ١٦) . لقد كان أبونا إبراهيم من رجال الإيمان ، لأنه " لما دعي أطاع " (عب ١١ : ٨) ، فخرج وراء الله وهولا يعلم إلى أين يذهب " . وحسب من رجال الإيمان ، لأنه صدق مواعيد الله حتى وهو يقدم إبنه وحيده ، واثقاً أن الله قادر على الإقامة من الأموات (عب ١١ : ١٧ - ١٩) . ووضعت زوجته سارة في قائمة أبطال الإيمان ، لأنها صدقت قول الرب " إذ حسبت الذي وعد صادقاً " (عب ١١ :١١) .

إذن ليس أبطال الإيمان هم فقط أبطال الدفاع عن العقيدة ، إنما أيضاً أولئك الذين صدقوا الرب ، وساروا معه ، وصنعوا براً (عب ١١ : ٣٣) .

وأيضاً أولئك الذين " عذبوا ولم يقبلوا النجاة ، لكي ينالوا قيامة أفضل " ، أولئك الذين " طافوا في جلود غنم وجلود ماعز ، معتازين مكروبين مذلين ، " تائهين في براري وجبال ومغائر وشقوق الأرض ، " وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم " (عب ١١ : ٣٥ - ٣٨) . هؤلاء كلهم كانوا مشهوداً لهم بالإيمان **(عب ١١ : ٣٩) . في كل هذا يعطينا الكتاب معنى واسعاً لكلمة الإيمان . ومعلمنا القديس بولس** الرسول يقول لنا في معنى الإيمان هذا : "الإيمان هو الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لاترى "

(عب ١١ : ١) . وعبارة أمور لا ترى هي عبارة واسعة جداً ، سندخل في تفاصيلها بعد حين إن شاء الله . ولكننا نقول كمثال : أنت ترجو أشياء كثيرة بعد الموت . ترجو حياة أخرى دائمة ، وعشرة مع الملائكة والقديسين . وترجو رؤية الرب في الفردوس . وترجو القيامة من الموت **بجسد روحاني غير قابل للفساد (١كو ١٥) . وترجو النعيم الأبدى بعد القيامة العامة . وأنت تثق** بوجود كل هذه الأمور ثقة يقينية كاملة لا شك فيها ، دون أن ترى من كل ذلك شيئاً ... إنه الإيمان .

الإيمان فوق مستوى الحواس :

وهنا نرى أن الإيمان يرتفع فوق مستوى الحواس :

إنه لا يتعارض مع الحواس ، إنما هو مستوى أعلى من مستوى الحواس . وهو قدرة أعلى من قدرة الحواس التى لها نطاق معين لا تتعداه فالحواس المادية تدرك الماديات . غير أن هناك أشياء غير مادية ، تخرج عن نطاق قدرة الحواس المادية . وحتى قدرة الحواس بالنسبة للأشياء المادية ، هي محدود أيضاً . وكثيراً ما تستعين الحواس بعديد من الأجهزة لمعرفة أشياء مادية أدق من أن تدركها حواسنا الضعيفة . فكم بالحري إذن الأمور غير المادية ، التى قال عنها الرسول إنها "أمور لا ترى " ؟! إن ما يرى بالعين المادية يدخل في نطاق (العيان) وليس الإيمان (٢ كو ٥ : ٧) . فالروح مثلاً

لا ترى ولا تدرك بالحواس المادية . سواء كانت روح بشر أو ملائكة . وعدم إدراك الحواس لها لا يعني عدم وجودها . إنما يعني أن قدرة الحواس محدودة . لها نطاق معين تعمل فيه لا يصل إلى مستوي الروح . **والله روح (يو ٤ : ٢٤) . لذلك فإنه لا يدرك بالحواس المادية .**

لذلك فإنني عجبت من رائد الفضاء الذي قال إنه صعد إلى السماء ولم ير الله !

وقد ظن في تهكمه أنه يمكن أن يرى الله بهذه العين الجسدية القاصرة التى لا ترى كثيراً من الماديات ! كما أن الله في كل مكان ، في الأرض وفي السماء وما بينما ، ولا يحده مكان . فإن كان لم ير الله على الأرض ، فلن يراه أيضاً في السماء ، ولا في أى موضع آخر ، لأن الله لا يرى إلا بالإيمان ... تراه بالروح (١ كو ٢ : ١٠) . عدم رؤيتك لله بعينك ، لا يعنى أن الله موجود . إنما نفسير ذلك هو أن عينك قاصرة . ومهما قويت ، فإن لها نطاقاً محدوداً تعمل فيه ، هو نطاق الماديات . ولذلك قلنا إن الإيمان أعلى من مستوى الحواس .

في العهد القديم ، كان مستوى الناس ضعيفاً ، فكان تأثير الحواس في الدرجة الأولى والأهم ،

لذلك كان الله يظهر لهم في السحاب والضباب والنار .

لقد كلمهم من على الجبل وسط البروق والرعود ، والجبل يدخن ، وقد صعد دخانه كدخان الأتون . وارتجف كل الجبل جداً . وكان سحاب ثقيل على الجبل ، وصوت بوق شديد ، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة (خر ١٩ : ١٦ - ١٨) . وكان كان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى أنا خائف ومرتعد (عب ١٢ : ٢١) . بهذا الأسلوب كانوا يفهمون قوة الله وأهمية الوصية المعطاة لهم . أما في الحياة الإيمان ، فإن القلب يفهم قوة الله في غير حاجة مطلقاً إلى هذا الإعتماد الكبير على الحواس . إن الإيمان مستوى أعلى من الحواس ، لا يعتمد عليها ، ولا يحتاج إليها .

والإيمان مستوى أعلى من العقل :

إن العقل قد يوصلك إلى بداية الطريق . أما الإيمان فيكمل معك الطريق إلى أقصاه . الإيمان لا يتعارض مع العقل . ولكنه يتجاوزه إلى مراحل أبعد بما لا يقاس ، لا يستطيع العقل بمفرده أن يصل إليها . وما لا يدركه العقل ، نسميه " غير الدرك " . ونحن نصف الله بأنه " غير مدرك " . لأنه أيضاً غير محدود . بينما العقل البشرى محدود ولا يدرك سوى الأمور المحدودة ، التى تدخل في نطاقه . العقل يستطيع أن مجرد معرفة الله ، وإلى بعض صفاته . ولكن بالإيمان " الروح يفحص كل شئ ، حتى أعماق الله " (١ كو ٢ : ١٠) . وبالنسبة إلى المؤمن ، يكشف الله له ذاته . أو يكشف له ما يحتمل الطبيعة البشرية أن تدركه ...

العقل قد لا يدرك أشياء كثيرة ، ولكنه يقبلها :

العقل ليس من طبيعته أن يرفض كل ما لا يدركه . بل حتى في المحيط المادي في العالم الذي نعيش فيه ، توجد مثلاً مخترعات كثيرة لا يدركها إلا المتخصصون . ومع ذلك فالعقل العادي يقبلها معها ، دون أن يدرك كيف تعمل ، وكيف تحدث . والموت يقبله العقل ، ويتحدث عنه ، ومع ذلك فهو لا يدركه ، ولا يعرف كيف يحدث . فإن كان العقل يقبل أموراً كثيرة في عالمنا ، وهولا يدركها . فطبيعي لا يوجد ما يمنعه من قبول أموراً أخرى أعلى من مستوى هذا العالم .

العقل لا يدرك (المعجزة) كيف تتم . ولكنه يقبلها ويطلبها ، ويفرح بها .

لقد سميت المعجزة معجزة ، لأن العقل يعجز عن إدراكها وعن تفسيرها . ولكنه يقبلها بالإيمان ... الإيمان بوجود قوة غير محدودة ، أعلى من مستواه ، يمكنها أن تعمل ما يعجز العقل عن إدراكه . وهذه القوة هي قوة الله القادر على كل شئ .

إننا نحترم العقل . ولكننا في نفس الوقت ندرك حدود النطاق الذي يعمل فيه . ولا نوافق العقل . المغرور الذي يريد أن يعي كل شئ ، رافضاً كل ما هو فوق مستوى إدراكه .

ينبغي للعقل أن يتضح ، ويعرف مستواه " ولا يرتئي فوق ما ينبغي " (رو ١٢ : ٣) . وفي الأمور التى هي فوق إدراكه ، يجب أن يسلم قياده للإيمان . أما إن أراد العقل أن يحطم كل ما لا يدركه ، فإنه سيحطم نفسه أخيراً ، ويفقد الإيمان ويحصر نفسه في دائرة ضيقة جداً ،هي دائرة إدراكه المحدود . والذين يسلكون هكذاً ، إعتاد البعض أن يسميهم (العقلانيون) ، لأنهم يعتمدون على العقل وحده ،

ودون الروح ! إن العاقل يمكنه أن يصل إلى الله . أما العقلاني فلا يصل .

والمؤمنون عاقلون ، ويحترمون العقل ، ويستخدمونه أيضاً في الأمور الدينية واللاهوتية . ويوجد بين المؤمنين فلاسفة وحكماء وأشخاص على مستوى عال من الفكر والذكاء . ولكنهم على الرغم من كل هذا ، لا يمزجون العقل بالغرور ولا يثقون بقدرة العقل على إدراك كل شئ . وإنما في بساطة واتضاع ، يعترفون أن عقولهم محدودة ، وقصرة عن إدراك كل ميحيط بالله غير المدرك ... وبالإيمان تقبل قلوبهم وعقولهم ماهو فوق مستوى العقل ...

العقل البسيط التواضع ، هو الذي يقبل الإيمان ، والمعجزة .

نقصد بعبارة (التواضع) إنه لا يعتز بإدراكه الخاص . ولا يحطم كل ما هو فوق إدراكه .ونقصد بعبارة (البسيط) ، العقل الذي لا يعقد الأمور ، ولا يصر على إدخال كل شئ في حدود معامله ومقاييسه الخاصة . ولعنا سنعود إلى هذه النقطة ، حينما نتحدث عن (بساطة الإيمان) .

الإيمان ليس هو مجرد تلاوة قانون الإيمان ، إنما هو حياة نحياها .

إن كنت تحيا في الإيمان ، والإيمان له ثماره في حياتك العملية ، فإنك تستطيع أن تختبر إيمانك بالفضائل التى تبدو واضحة في حياة المؤمن ، وهي عديدة ... وبها تنفيذ قول الرسول " إمتحنوا أنفسكم : هل أنتم في الإيمان ؟ إختبروا أنفسكم " (٢ كو ١٣ : ٥) .

الإيقان بأمور لا ترى

قال الرسول في معني الإيمان إنه " الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى " (عب١١ : ١) . ونود أن نعرف تفسير هذه العبارة .

الإيقان :

أى التأكيد الشديد ، والثقة ، والعقيدة التى لا تعرف شكاً . ليس الأمر مجرد فكر أو رأى ، أو معلومات نتيجة قراءة أو سماع . إنما يقين أكيد بوجود هذه الأمور التى لا ترى .

وهنا يبدو الفرق بين رجال الإيمان ، ورجال البحوث العلمية .

أصحاب البحوث العلمية ، لا تدخل في نطاق عملهم كل تلك الأمور التى لا ترى . وهم لا يكونون في حالة يقين من شئ إلا إذا فحصوه تماماً بكل أجهزتهم ومقاييسهم العلمية . وعلى نفس هذا المنهج كل أصحاب المذاهب المادية . أما المؤمنون فهم ليسوا كذلك . إنهم يتعبون قول الرب " طوبى لمن آمن دون أن يرى " (يو ٢٠ : ٢٩) . المؤمن يقبل مثلاً فكرة الخلق من العدم . أما الباحث العلمي ، فترفض أبحاثه هذا الأمر ، كما ترفض أيضاً أن يشبع من خميس خبزات خمسة آلاف رجل (غير النساء والأطفال) ، وتفيض عنهم إثنتا عشرة قفة مملوءة . أما المؤمن فيقبل كل هذا ...

المؤمن يقبل أولاً فكرة الله القادر على شئ . ثم في دائرة يقينه من جهة هذه القدرة غير المحدودة ، يقبل كل شئ ...

وهكذا يريح نفسه من شكوك غير المؤمن ومن بحوثه وفحوصه الكثيرة . وهو ليس فقط يقبل ما لا ، ويكون موقناً بوجود غير المرئيات ، بل إنه أكثر من هذا يعايش ما لا يرى ، ويركز فيه كل تفكيره وكل عواطفه ، حسبما قال الرسول " غير ناظرين إلى الأمور التى ترى ، لأن التى ترى وقتية . أما التى لا ترى فأبدية " (٢ كو ٤ : ١٨) . ولعلك تسأل : كيف ننظر ما لا يرى ؟ فأقول بالإيمان . ما هي إذن هذه الإمور التى لا ترى ؟ لعل في مقدمتها الله نفسه ، وصفاته ، وعمله ، وكل ما يتعلق به .

١ - الله ، وصفاته ، وعمله :

إن الله لا يرى ، وقد قال القديس يوحنا الإنجيلي : " الله لم يره أحد قط ... " (يو ١ : ١٨) . حقاً من يستطيع أن يرى اللاهوت ؟! لا أحد . ومع ذلك فأنت تؤمن به من كل قلبك ، وبكل ثقة . ولا يعتمد هذا الإيمان مطلقاً على الحواس . أو قل إنك تراه بتلك الحواس الروحية الدربة (عب ٥ : ١٤) . تلك الحواس غير المادية التى تدربت أن ترى ما لا يرى . ولنا أمثلة على ذلك من الكتاب :

يقول داود النبي " تقدمت فرأيت الرب أمامي في كل حين ، لأنه عن يميني فلا أتزعزع " (مز ١٥) . فكيف رأى الرب أمامه وعن يمينه كل حين ؟ لا شك أنه رآه بعين الإيمان . وفي بعض الترجمات يقول " جعلت الرب أمامي كل حين " . أى أنه ناظر إليه باستمرار ، ناظر إلى ما لا يرى ، مركزاً فيه فكره وشعوره . وبنفس المعني يقول إيليا النبي **" حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه "** (١ مل ١٨ : ١٥) . فكيف شعر أنه واقف أمام الرب ؟ وكيف كان يرى الرب أمامه في كل حين ؟ ... ليس بالحواس الجسدية طبعاً ، لأن الحواس الجسدية ليست هي التى تحرك قلب المؤمن . بل إن الرب أمامه بالإيمان . وهو بالإيمان . وهو بالإيمان يرى ما لا يرى .

إن كنت في الإيمان ، فلا بد ستثق إن الله أمامك في كل حين ، وتتصرف وفق هذا الإيمان : إنه يراك ويسمعك ...

وإن عشت في الإيمان ، فستثق أن الله في وسط شعبه ، حسب وعده الصادق " ... هناك أكون في وسطهم " (متى ١٨ : ٢٠) ، " ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر " (متى ٢٨ : ٢٠) . إنك لست تراه بعينك الجسدية ، ولكنك تؤمن تماماً أنه في وسطنا . لست محتاجاً أن ترى بعينيك لكي تصدق . فأنت تؤمن دون أن ترى . أو ترى ما لا يرى .

ما هي حياتنا الروحية يا إخوتى ؟ إنها ليست سوى انتقال من نطاق المحسوسات والمرئيات إلى نطاق ما لا يرى .

ونحن نعيش في ما لا يرى ، بملئ الثقة أنه موجود أمامنا . وهذا هو الفرق بين المؤمن وغير المؤمن . غير المؤمن يريد أن يرى كل شئ بعينيه ، و الإ فإنه لا يصدق .

أما المؤمن فإنه لا يجعل من عينيه حكماً على كل ما يؤمن به ... ولا كل حواسه ، ولا المعلومات الظاهرة . بل إن قلبه يوقن بوجود أمور لا يراها بعينيه ... إن اعتماد الإنسان على عينيه لكي يصدق ، أمر وبخ الرب عليه تلميذه توما قائلاً له " لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً " " ألأنك رأيتني يا توما آمنت ؟! طوبى للذين آمنوا ولم يروا " (يو ٢١ : ٢٧ ، ٢٩) . قلنا إنه من ضمن الإيقان بأمور لا ترى ، الإيمان بالله ... ولكننا لا نعني بهذا .

مجرد الإيمان بوجود الله ، وإنما الإيمان بصفاته وبعمله .

فتؤمن مثلاً بصلاح الله وخيريته . وبأنه لا يصنع إلا خيراً . وتؤمن أنه ضابط الكل ، يرقب كل شئ وكل أحد . وتؤمن أن الله قادر على كل شئ ، وأن " غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله " (لو ١٨ : ٢٧) . وتؤمن بمحبة الله لك ولغيرك ... كل هذه الصفات ، لا تراها . ولكن تؤمن بوجودها ، وتؤمن برعاية الله للكون ، وحفظه له جملة ، ولكل فرد فيه على حدة ... وتؤمن أن الله يعمل ، سواء رأيت عمله أو نتائج عمله ، أو لم تر شيئاً ...

٢ - ومن الأشياء التى لا ترى أيضاً مواعيد الله .

وقد حسب من رجال الإيمان أولئك الذين " لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها ، وأقروا بأنهم نزلاء وغرباء على الأرض " (عب ١١ : ٣) . وهؤلاء نظروا بالإيمان ، صدقوا ما قيل لهم من قبل الرب ... ومن هذه المواعيد " ما أعده الله للذين يحبونه " وكلها من الأمور التى لا ترى ، إذ قال عنها الرسول " ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر "

(١ كو ٢ : ٩) . ومن الأمور التى لا ترى ، إنذارات الله .

لقد آمن نوح بكلام الرب أنه سيحدث طوفان ، مع أن كلمة (طوفان) هذه ، كانت جديدة على سمعه وعلى معرفته . ولم يحدث طوفان من قبل في أيامه ، ولا في أيام سابقيه . ولكنه آمن بحدوث هذا الشئ الذي لم يره أحد من قبل . وظل سنوات يعمل في بناء الفلك ، محتملاً استهزاء الناس به وبفلكه وتهكمهم ... وكانت سنوات من الإيمان . ولذلك أعتبر أبونا نوح من رجال الإيمان لأنه صدق إنذار الله بالطوفان . وبالإيمان رأى هذا الطوفان قائماً قبل أن يكون . ولذلك دخل الفلك هو وبنوه ونساؤهم . وكما قال معلمنا القديس بولس الرسول " بالإيمان نوح ، لما أوحي إليه عن أمور لم تر بعد ، خاف فبني فلكاً لخلاص بيته ... " (عب ١١ : ٧) . بينما معاصروه لم يصدقوا إنذار الله ، ولم يؤمنوا بصدق كلام الله فهلكوا ... ونفس الوضع نقوله عن أبينا لوط وأهل سدوم . هو صدق إنذار الله قبل أن يحدث . مع أنها كانت المرة الأولى التى تنزل فيها نار من السماء كما كانت المرة الأولى التى يحدث فيها طوفان في أيام نوح . وهوذا إنذارات الله الخاصة بالأبدية وبالدينونة قائمة أمامنا ، ومع ذلك فالناس مازالوا في شرورهم وأخطائهم ، كأن الله لم يقل شيئاً ... لا مخافة الله في قلوبهم ، ولا خشية الأبدية ، ولا حرصاً ، ولا توبة ... تحدثنا عن الله وعن صفاته وعمله ، وعن مواعيده وإنذارته ، ضمن الأمور التى لا ترى . ونضيف على ذلك :

٣ - سكني الروح وعمله فينا ، من الأمور التى لا ترى :

صموئيل النبي صب من قنينة الدهن على الصبي داود ، فحل عليه روح الرب (١ صم ١٦ : ١٣). ولم ير أحد روح الرب وهو يحل عليه . ولكن هكذا كان . إنه من الأمور التى لا ترى وكان الرسل يضعون أيديهم على الناس ، فيحل عليهم الروح القدس (أع٨ : ١٧) . وما كان أحد يرى الروح القدس وهو يحل على الناس . ثم أصبح الروح القدس ينال بالمسحة المقدسة (١ يو٢ : ٢٠ ، ٢٧) . وعرفت هذه المسحة باسم (الميرون) . ولم يكن أحد يرى الروح ، إنما ثماره تظهر في الحياة . أنت تعرف تماما أن هناك قوة خفية تعمل فيك وتعمل معك ، دون أن تراها ، هي التى قال عنها الرب " ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم " (أع ١ : ٨) . هذه القوة ، قوة الروح هي التى تعمل فيك كل خير ، وتساعدك في كل خدمة ، وتحميك من كل خطية ...

هنا ونقول إن حياتنا كلها تصبح شركة مع الروح القدس (٢ كو١٣ : ١٤) .

ما هذه الشركة ؟ وكيف تحدث ؟ وكيف نصبح شركاء للطبيعة الإلهية في العمل ؟ إن هذا من الأمور التى لا ترى . لا نراها ولكن نؤمن بها . نؤمن بروح الله العامل في الكنيسة ، الساكن فيها . هوذا الرسول يقول " أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن فيكم " (١ كو٣ : ١٦) ، " أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم ، الذي لكم من الله " (١ كو٦ : ١٩) . وسكني الروح فينا أمر لا نراه . قد نرى ثماره فقط . أما نفس السكني فلا نراها . والروح لا نراه . ومن عمل الروح فينا قول الرب لنا عن الوقوف أمام الولاة والملوك " لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم يتكلم فيكم " (متى ١٠ : ١٩ ، ٢٠) . كيف يتكلم روح الله فينا ؟ إن هذا من الأمور التي لا ترى .

٤ - وعمل النعمة فينا ، من الأمور التي لا ترى :

تأتينا زيارات من النعمة ، تشعلنا بمحبة الله . لا نراها ولكن نحسها . ولا شك أن عمل النعمة فينا هو من الأمور التي لا ترى . يقول القديس يوحنا للإنجيلي " أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا " (يو١ : ١٧) . فما هي هذه النعمة العاملة فينا ؟ ما هي هذا النعمة التي عاش بها القديس بولس الرسول فقال " ... ولكن بنعمة الله ، أنا ما أنا . ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة " (١كو ١٥: ١٠) . ويقول عنا جميعاً " فإن الخطية لن تسود كم ، لأنكم لستم تحت الناموس ، بل تحت النعمة " (رو٦ : ١٤) . ويقول لتلميذه تيموثاوس الأسقف " فتقو أنت يا إبنى بالنعمة التي في المسيح يسوع " (٢ تى ٢ : ١) . نحن لا نرى هذا النعمة بعيوننا الجسدية ، فهي من الأمور التي لا ترى . ولكننا نلمسها في حياتنا . وعمل نعمة الله فينا هو فوق الحواس . ونحن نتقبل هذه النعمة من الله . ونأخذها

بركة من الكنيسة التي تردد لنا قول القديس بولس الرسول " نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم ، آمين " (٢كو ١٣ : ١٤) . إن هذا يجعلنا ننتقل إلى نقطة أخرى هي البركة :

٥ - البركة أيضاً هي من الأمور التي لا ترى :

سواء البركة التي من الله نفسه مباشرة ، أو بركة الله التي تأتي عن طريق الوالدين ، أو من الكنيسة من الأب الكاهن . كلها أمور لا ترى . لقد قال الله لأبينا ابرآم أبى الآباء " أباركك ، وأعظم إسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركيك ... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (تك ١٢ : ٢ ، ٣) . لقد رأى ابرآم ثمار هذه البركة في حياته . ولكن البركة نفسها : ما هي ؟ إنها من الأمور التي لا ترى . واسحق بارك يعقوب إبنه ، فصار مباركاً . وبكي عيسو لأنه لم يحصل على هذه البركة (تك ٢٧) . ويعقوب بارك افرايم ومنسي قائلاً " الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين " (تك ٤٨ : ١٦) . وصار الغلامان مباركين . ولكن افرايم صار أكثر بركة من أخيه ، لأن أبانا يعقوب وضع عليه يده اليمين (تك ٤٨ : ١٧ - ٢٠) . ما هي هذه البركة ؟ وكيف سرت من يد إسحق ومن يد يعقوب ؟ وكيف سرت من أيدى الآباء الرسل ؟ وكيف تسرى من أيدى خلفائهم ومن رجال الله جميعاً ، كما يروى لنا الكتاب ... ؟ إنها كلها أمور لا ترى . ونحن نؤمن بالبركة مع أنها لا ترى ، ونسعى إلى طلبها ونواها . ونأخذها من أيدى الآباء والأمهات ومن الآباء الكهنة ومن كل رجال الله المباركين . ونعرف تماماً أن ابرآم كان بركة للعالم حسب قول الرب . وأن يوسف الصديق كان بركة في بيت فوطيفار وبركة في كل أرض مصر ، وأن إيليا النبي كان بركة في بيت أرملة صرفة صيدا ... نقول هذا كله ، ونحن لا نستطيع وضع معنى محدد للبركة ، فهي أوسع بكثير من الألفاظ المحدودة . وهي أمر لا يرى . نرى ثماره فقط . ولكن البركة نفسها . من يستطيع أن يراها و بشخصها ؟! كيف سرت البركة من يد السيد المسيح إلى الخمس خبزات و السمكتين ، فصار هذا الطعام البسيط كافياً لعدة آلاف من الناس ، وفاض عنهم إثنتا عشرة قفة مملوءة ؟ كيف حدث هذا الأمر ؟ وما نوعيته ومفعوله وبالضبط..كلها أمور لا ترى ...

٦ - ومن ضمن الإيمان أيضاً بما لا يرى ، الإيمان بوجود الملائكة وعملهم :

نحن نؤمن بوجود الملائكة ، الملائكة أرواح لا ترى . وربما لا نكون قد رأينا ملاكاً في حياتنا كلها . ومع ذلك نؤمن أنهم حولنا وأن " ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم " (مز ٣٤ : ٧) . ونوقن بأن الملائكة تملأ الكنيسة . ونثق أنهم معنا في كل مواضيعنا " أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب ١ : ١٤) .

كثيرون يفرحون حينما يرون العذراء في رؤيا ، أو يرون قديسين .

ولكن أعظم من هذا أن تؤمن بأن كل هؤلاء حولك ، دون أن تراهم . ليس من الضروري أن يرسل لك الله حمامة بيضاء أثناء حضورك اجتماعات المساء في الكنيسة ... إنما أنت تؤمن - دون أن ترى - أن الكنيسة مملوءة بأرواح الملائكة . وترفرف عليها أرواح القديسين الذين يرسلهم الله لخدمة البشر ... إن جيحزى تلميذ أليشع ، خاف لما رأى الأعداء محيطين بالمكان ...

ولكن أليشع ، الرجل المفتوح العينين ، فكان يرى الملائكة يدافعون عن المدينة ضد **هؤلاء الأعداء . لذلك طمأن غلامه قائلاً له " لاتخف، لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا " (٢ مل ٦ :١٦) .**

وصلى من أجله لكي يفتح الرب عينيه فيرى ، إذ كان جيحزى ليس له الآيقان بأمور لا ترى .

٧ - ومن الإيقان بما لا يرى أيضاً : الإيمان بالروح ، والعالم الآخر :

نحن لا نرى الروح . ولكننا نوقن بوجودها. وحينما يموت إنسان ، تقول إن روحه فارقت جسده . ونحن لم نر هذه الروح تفارق الجسد . كذلك الإيمان أيضاً يشمل مصير هذه الروح تفارق الجسد . كذلك الإيمان أيضاً يشمل مصير هذه الروح ، في الفردوس أو الجحيم . ويشمل أيضاً عودة هذه الروح إلى الجسد بالقيامة . ومصير هذا الإنسان القائم من الأموات في الأبدية بعد الدينونة العامة ... وكل هذه

الأمور : الروح – القيامة – الأبدية – الدينونة (الحساب) – الفردوس – النعيم – الجحيم ... كلها أمور لا ترى . لذلك فالإيقان بوجودها جميعها يدخل في نطاق الإيمان . حقاً إن العالم الآخر بكل ما فيه ، يتحدث عنه أحد إلا بالإيمان . والذي يؤمن بالحياة بعد الموت ، إنما يوقن بأمور لا ترى .

٨ – لقد آمن الناس بمجيء المسيا ، دون أن يروه :

حتى المرأة السامرية ، قالت للرب " أنا أعلم أن المسيا – الذي يقال له المسيح – يأتي . فمتي جاء ذاك يخبرنا بكل شئ " (يو ٤ : ٢٥) . وهكذا كان الجميع موقنين بمجيء المسيا ، حسب وعد الرب . وكانوا ينتظرونه بكل شوق . ويعرفون ما قاله أشياء النبي " ها العذراء تحبل وتلد ابناً ، وتدعو إسمه عمانوئيل " (اش ٧ : ١٤) . وما كانوا قد رأوا من قبل عذراء تلد ، ومع ذلك آمنوا بهذا الأمر فيما بعد ... ويشبه الإيمان الذي كان به أهل العهد القديم ينتظرون مجيء المسيا ، هكذا نحن في العهد الجديد ننتظر مجيء الرب ثانية ، على السحاب ، حسب وعد الرب (متى ٢٤ ، ٢٥) ، وحسب بشرى الملاكين للتلاميذ (أع ١ : ١١) . لم نرى الرب من قبل على سحاب السماء مع ربوات قديسيه ، في مجد أبيه ، ومعه ملائكته القديسين . ولكننا نؤمن بمجيئه في هذا المنظر الذي لم نره من قبل . لأن الإيمان هو الإيقان بأمور لا ترى .

٩ – الفداء أيضاً هو من الأمور التي لا ترى :

في الفداء ، من محبة المسيح لنا حمل جميع خطايانا ومات عنها " كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا " (اش ٥٣ : ٦) . وهكذا قال عنه القديس يوحنا المعمدان " هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم " (يو ١ : ٢٩) . وقال القديس يوحنا الرسول " وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً " (١يو ٢ : ٢) . وقال القديس بولس الرسول " مسامحاً لكم بجميع الخطايا ، إذ محا الصك الذي علينا " (كو٢ : ١٣ ، ١٤) . وقال أيضاً " عاملاً الصلح بدم صليبه " (كو١ : ٢٠) . ونحن نرى الصليب فقط ، وقد يراه البعض عاراً !! أما ما في الصليب من حب ، ومن فداء وكفارة ، ومن مغفرة ومحو للصك المكتوب ، وحمل خطايا العالم ، وأيضاً ما في الصليب من عمل المصالحة ... فكل هذه أمور لا ترى . نراها نحن بالإيمان ... بطرس الرسول – قبل الإيمان بكل هذا – ما كان يرى في الصليب سوى الضياع والعار ... ! لذلك قال " حاشاك يارب " (متى ١٦ : ٢٢) . فانتهره الرب ، إذ لم يكن يرى الإمور التي لا ترى ... إن الصليب كان يمثل عمق إحسانات الرب إلينا . ولكن الكتبة والفريسيين لم يروا هذا ، لأن عيونهم ما كانت تبصر . لأنهم " لو عرفوا لما صلبوا رب المجد " (١كو ٢ : ٨) .

إن هذا يقودنا إلى نقطة أخرى وهي :

١٠ – إحسانات الله الخفية ، هي من الأمور التي لا ترى :

إننا نشكر الله فقط على إحساناته التي نراها أو التي نعرفها . ولكن هناك إحسانات أخرى لا ترى ينبغي أن نشكره عليها أيضاً . ولذلك عندما ندخل بالإيمان في حياة التسليم ، ندخل تلقائياً في حياة الشكر الدائم . كما قال الرسول " شاكرين في كل حين ، على كل شئ " (أف ٥ : ٢٠) .

وفي هذا الشكر الدائم ، نشكر على التجارب أيضاً ...

لأننا نشعر أنه توجد فيها إحسانات خفية من الله ، نحن لا نبصرها . وإن أبصرناها ، لا بد أن نغني مع القديس يعقوب الرسول قائلين " إحسبوه كل فرح يا إخوتى ، حينما تقعون في تجارب متنوعة " (يع ١ : ٢) . وبهذا نرى الإيمان يعطى معني روحياً للألم الذي يسمح الله به من أجل بركات معينة كامنة فيه ، هي من الأمور التي لا ترى ، ولكننا نتقبلها بالإيمان ، واثقين من محبة الله الصانع الخيرات ، وواثقين من قول الكتاب " كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الله " (رو٨ : ٢٨) .

١١ – وجود الله في حياتنا ، وقوته العاملة فينا ، من الأمور التي لا ترى:

ما أجمل قول الرب لأبينا يعقوب " وها أنا معك . وأحفظك حيثما تذهب . وأردك إلى هذه الأرض " (تك ٢٨ : ١٥) ... كان الرب معه يحفظه حيثما يذهب ... ولم يكن يرى الرب وهو معه . ولكن من الريح للنفس أن يشعر الإنسان بهذا ، ويوقن به ، فيحيا في اطمئنان دائم وفي فرح ... ولم يكن هذا الأمر ميزة لأبينا يعقوب فقط ، بل أن الرب يقول " ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر " (متى ٢٨ : ٢٠) .

إن شعورنا بوجود الله معنا ، يشعرنا بقوة إلهية ترافقنا وتحفظنا :

هذه القوة هي العاملة فيك ومعك منذ أن تدخل في شركة الروح القدس ، فيشترك الروح القدس معك في العمل . وهكذا في الكنيسة الأولى كنا نرى أن ملكوت الله قد أتى بقوة (مر٩ : ١) ، " وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم " (أع ٤ : ٢٣). قيل عن القديس اسطفانوس أول الشمامسة إنه كان " مملوءاً إيماناً وقوة " (أع ٦ : ٨) ، وإنه وقف ضد عدة مجامع " ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به "(أع ٦ : ١٠) . هذه هي القوة في الإيمان . أما الذي يؤمن ، ولكنه يخاف من إعلان إيمانه ، فهو إنسان ضعيف الإيمان ، لا يؤمن بقوة الله العامل معه . المرأة نازفة الدم ، كانت تشعر أنها لو لمست ولو هدب ثوب المسيح ، ستخرج قوة من المسيح تشفيها . وقد كان (متى ٢٠ : ٢١ ، لو ٨ : ٤٦) .

وأنت إن آمنت بقوة الرب ، والتصقت به ، ستنالها .

ليكن لك هذا الإيمان وهذا الشعور ، في كل تفاصيل حياتك : في خدمتك وفي صلاتك ، وفي عملك . كما قال القديس أنطونيوس عن أبا مقار الكبير " إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليد ين .

حتى في حالة سقوطك : آمن أن هناك قوة ستخلصك .

إن كنت أنت أضعف من الشياطين ، آمن أن الله الذي يحبك هو أقوى منهم ، وهو قادر أن يخلصك من الخطية ، وفي قوة إيمان تضرع إلى الله أن يمنحك القوة التي تنتصر بها في حياتك الروحية ، واطلب إليه أنه هو " يقودك في موكب نصرته " (٢كو ٢ : ١٤) . حتى إن طالت بك المدة ، آمن أن قوة الرب ستصلك ولو في الهزيع الأخير ، لكي تنقذك . قوة الرب هذه غير مرئية ، ولكنها موجودة ، ومستعدة أن تعمل مع كل الذين يطلبونها مؤمنين . عليك أن تبصر هذه القوة تصحبك ، ليس في حياة التوبة فقط ، إنما في كل نواحي حياتك الروحية ... حتى إن تكلمت ، يشعر الناس بقوة الكلمة ومفعولها

... إن المؤمن هو إنسان قوى ، يؤمن بقوة الله العاملة فيه .

هوذا القديس بولس الرسول يقول " أتعب أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذي يعمل في بقوة " (كو ١ : ٢٩) . ويقول أيضاً عن الله " القادر أن يفعل فوق كل شئ ، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر ، بحسب القوة التي تعمل فينا " (أف ٣ :٢٠) . وبفضل هذا الإيمان بقوة الله العاملة ، التي قد لا نراها ولكن نؤمن بها ، عاش القديس بولس في ملء الثقة ، وأمكنه أن يقول :

" أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقويني " (في ٤ : ١٣)

عبارة كلها قوة ، وكلها إيمان ، وكلها ثقة بعمل الله . ونحن نسآل : هل هذه العبارة هي من شأن قديس عظيم فقط مثل بولس الرسول ؟ فيجيبنا الرب نفسه " كل شئ مستطاع للمؤمن"(مر٩ : ٢٣) . لعل هذه القوة هي اختبار لحياتنا الروحية : هل نحن في الإيمان ؟ إنها قوة نسعد بها في حياتنا ، ونحيا مطمئنين . في حياتنا أيضاً داخل الكنيسة ، نسعد بأمور كثيرة لا ترى ...

١٢ - من الأمور التي لا ترى ، ما يحدث في المعمودية :

يقول القديس بولس الرسول " لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح " (غل ٣ : ٢٧) . حقاً ما أعجب هذا السر ! من رآه ؟! إنه من الأمور التي لا ترى . وقال حنانيا الدمشقي لشاول الطرسوس " أيها الأخ شاول ... لماذا تتوانى ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك " (أع ٢٢ : ١٦) . من رأى هذه الخطايا وهي تغسل ؟ إنها أمور لا ترى ، نقبلها بالإيمان ، كما قال الرسول " بمقتضى

رحمه خلصنا ، بغسل الميلاد الثاني " (تي ٣ : ٥) . هذا الخلاص الذي نلناه في غسل الميلاد الثاني ، أمر لم نره ولكننا نؤمن به حسب قول الرب " من آمن واعتمد ، خلص " (مر ١٦ : ١٦) .

ثم ما معنى هذا الميلاد الثاني ؟ وما معنى الولادة من فوق ، والولادة من الله . والولادة من الماء والروح ؟ كل هذه التي تحدث عنها الرب بنفسه (يو ٣ : ٣-٦) . كلها أمور لا ترى فعملية الولادة من الله سر لا يرى . نحن نرى الإنسان يغطس في جرن المعمودية . ولكننا لا نرى كيف يولد من الروح . وطوبى لمن آمن دون أن يرى . لذلك حسن أن الكنيسة أطلقت على هذا الأمر إسم (سر) . أتريد أن تدخل العقل هنا ؟ العقل قاصر عن أن يدخل . يقول الرسول " مدفونين معه بالمعمودية ، التي فيها أقمتم أيضاً معه ... مسامحاً لكم بجميع خطاياكم " (كو٢ : ١٢) . ويقول نفس المعنى في الرسالة إلى رومية ، ويضيف بأن إنساننا بالعتيق قد صلب معه ، وأننا نسلك في جدة الحياة (رو٦ : ٣-٦) . فمن رأى هذا الوت وهذا الدفن ، والقيامة ، والمسامحة بالخطايا ، والحياة الجديدة ، وصلب الإنسان العتيق ... إنها كلها أمور لا ترى . ولكن نؤمن بها ...

١٣ - سر الأفخرستيا أيضاً ، هو من الأمور التي لا ترى :

فيه ترى بالإيمان أن الخبز والخمر اللذين أمامك قد صارا جسد الرب ودمه(بعد صلاة التقديس). هنا لا تجعل حواسك تحكم ، لأن الحواس الجسدية لا تبصر سوى الأمور التي ترى . أما الحواس الروحية فتستمع إلى قول المسيح " هذا هو جسدي ... هذا هو دمي " (متى ٢٦ : ٢٦ ، ٢٨) ، " من يأكل جسدي ويشرب دمي ، فله حياة أبدية ... لأن جسدي مأكل حق ، ودمي مشرب حق . من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يثبت في وأنا فيه " (يو٦ : ٥٣ - ٥٦) .

أنا أجادل الرب فيما يقوله ، إنما أتقبله في إيمان .

فهذا هو الإيمان " الإيقان بأمور لا ترى " . أما التي ترى فهي الخبز والخمر . وهكذا يقول القديس بولس الرسول " كأس البركة التي نباركها ، أليست هي شركة دم المسيح . الخبز الذي نكسره ، أليس هو شركة جسد المسيح " (١كو ١٠ : ١٦) . ويقول أيضاً " إذن أي من أكل هذا الخبز ، أو شرب كأس الرب ، بدون استحقاق ، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه ... يأكل ويشرب دينونة لنفسه ، غير مميز جسد الرب " (١ كو ١١ : ٢٧ ، ٢٩) . وكيف نميز أن هذا جسد الرب ، حتى لا ننال دينونة ؟

هنا نرتفع فوق مستوى الحواس ، وفوق مستوى العقل ، بالإيمان .

عقولنا هي التي تتعبنا حينما نتقبل أسرار الكنيسة . وحواسنا تتعبنا أيضاً . ونحتاج إلى بساطة الإيمان . ما قاله المسيح . ونصدق ما قاله رسوله القديس بولس الرسول ولا نجادل .

١٤ - وبالإيمان بما لا يرى نتقبل ما في المسيحية من أسرار :

نتقبل (وضع اليد) الذي ناله بر نابا وشاول من الرسل ، لكي يفرزا للخدمة (أع ١٣ : ٢ ، ٣). ووضع اليد الذي ناله تيموثاوس من بولس الرسول (٢ تى ١ : ٦) . ونوقن أن في ذلك سراً . ونتقبل السلطان الذي أعطاه الرب بقوله " إقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت " (يو ٢٠ : ١٣) ، " كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء " (متى ١٨ : ١٨) . هذا السلطان غير مرئي ، ولكنه سر نراه بالإيمان . إنه ليس لكل أحد ، ولا يأخذه أحد من نفسه بل المدعو من الله كما هرون (عب ٥ : ٤) . وهكذا في الأسرار التي لا نراها ، ولكن نؤمن بها ...

إن رؤية ما لا يرى ، هي الرؤية الروحية الحقيقية :

لعلها هي التي عناها رب المجد بقوله لتلاميذه القديسين " **أما أنتم فطوبي لعيونكم لأنها تبصر**"

- (متى ١٣ : ١٦). تبصر ماذا ؟ تبصر المسيح وعجائبه . وأيضاً تبصر ما لا يرى ، مثلما أبصر القديس يوحنا رؤياه العجيبة . ومثلما أبصر القديس بولس السماء الثالثة وكثرة من الاستعلامات (٢ كو١٢ : ٢ ، ٧) ، أمور " لا ينطق بها ، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم عنها " (٢ كو ٢ : ١٢) . أما أولئك الذين لم تكن لهم هذه الحاسية الروحية ، فقد وبخهم الرب بقوله "أغمضوا عيونهم لئلا يبصروا "

(متى ١٣ : ١٥) . وكرر رسوله عنهم نفس التعبير (أع ٢٨ : ٢٧) . وعبارة أغمضوها قد تعني أنهم لم يدربوا نفوسهم على رؤية الروحيات . أو أنهم رفضوا أن يروا الروحيات من فرط انشغالهم بالماديات . كان جيحزى لا يبصر ما يبصره معلمه أليشع (٢مل ٦ : ١٧) . وأيضاً مثلما كان مرافقو شاول الطرسوسى في وقت الرؤيا الإلهية ، وقد قال عنهم الكتاب " وقفوا صامتين ، يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحداً " (أع ٩ : ٧) .

الفصل الثالث

درجات وانواع

" كما قسم الله لكل واحد
نصيباً من الإيمان " .
(رو١٢ : ٣) .

درجات من الإيمان :

يختلف الناس في نوعية إيمانهم ودرجته حسبما " قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان " (رو ١٢ : ٣) . وقد يبالغ البعض ، وإذ يجد إنسان ناقصاً في إيمانه ، يقول عنه إنه غير مؤمن على الإطلاق . وهذا الحكم ضد تعليم الكتاب المقدس كما سنرى . والبعض قد يخلط بين كلمة (المؤمنين) وكلمة (المختارين) ، كما لو كانتا تدلان على معني واحد .

فلنتأمل إذن أنواع الإيمان ودرجاته :

١ - هناك نوع " حديث الإيمان " وهذا قد أمر الرسول بعدم سيامته في درجة الأسقفية " لئلا يتصلف " (اتى ٣ : ٦) .

٢ - وهناك نوع " قليل الإيمان " أو " ضعيف الإيمان " .

وسنضرب أمثلة من الإنجيل لهذا النوع :

أ - الذين يشكون في عناية الرب بهم في المأكل أو الملبس . هؤلاء ضرب الرب لهم مثلاً بزنابق الحقل التي ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها . ثم وبخهم قائلاً " فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور ، يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحري يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان ؟! " (متى ٦ : ٢٨ - ٣٠ ، لو ١٢ : ٢٨) .

ب - كذلك وبخ التلاميذ لما فكروا أنهم لم يأخذوا معهم خبزاً ، فانتهرهم قائلاً " يا قليلي الإيمان " (متى ١٦ : ٨) .

ج - ووبخ الرب القديس بطرس لما خاف بعدما مشى معه على الماء فبدأ يغرق حينئذ أمسكه الرب قائلاً له " يا قليلي الإيمان ، لماذا شككت ؟ " (متى ١٤ : ٣١) .

د - وبالمثل وبخ التلاميذ لما خافوا حينما غطت الأمواج السفينة أثناء نومه فيها . حينئذ قال لهم " ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان " (متى ٨ : ٢٦) .

إذن الخوف ، والشك في معونة الله دليلان على قلة الإيمان .

هـ - وقد ضرب الرسول مثلاً في ضعف الإيمان بالأخ الذي يعثر من أكل ما ذبح للأوثان . وأمر بأن ضعف الإيمان لا يجوز إدانته ولا الإزدراء به ، وقال " هو لمولاه : يثبت أو يسقط . ولكنه سيثبت لأن يثبته " (رو ١٤ : ١ - ٤) . هنا ويعجبني والد الطفل المصروع ، لما سأله الرب " أتؤمن ؟ " لكي يشفيه . حينئذ أجاب " **أؤمن يارب . أعن عدم إيمان** " (مر٩ : ٢٤) . إن الإيمان الضعيف يحتاج إلى من يصلي لأجله ، لكي يعينه الرب . ولا يجب مطلقاً أن نزدريه . فالله قادر أن يثبته .

٣ - هناك نوع ثالث : هو الإيمان المحدود :

ونقصد به الذي يؤمن بالرب في حدود معينة ، ولا يصل إيمانه إلى ما هو أبعد منه ... مثال ذلك مريم ومرثا ، اللتان كانتا تؤمنان أن الرب يقدر أن يشفي أخاهما من المرض فلا يموت . أما إن مات ، فقد كانت إقامته من الأموات أمراً لم يكن إيمانهما قد وصل إليه . لذلك كل منهما قالت للرب " لو كنت ههنا ، لم يمت أخي " (يو ١١ : ٢١ ، ٣٢) . ولما قال الرب لمرثا " سيقوم أخوك " أجابته " أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير " (يو ١١ : ٢٤) . ولما ذهب الرب إلى القبر وقال " إرفعوا الحجر " قالت مرثا " ياسيد قد أنتن ، لأن له أربعة أيام " (يو ١١ ٢٤) .

إن الله لم يرفض هذا الإيمان المحدود ، إنما أعطاه فرصة لينمو .

لذلك لمرثا " من آمن بي ، ولو مات فسيحيا " . ووبخها عند القبر قائلاً " ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله " (يو ١١ : ٢٠ ، ٤٠) . وأعطاها فرصة أن ترى مجد الله في إقامة أخيها لعازر ، لتؤمن أيضاً اليهود الذين شهدوا المعجزة .

وهنا كان الإيمان لاحقاً للمعجزة ، وليس سابقاً لها .

وربما كان ذلك لأن تلك المعجزة كانت الأولى من نوعها ، أي إقامة ميت بعد أربعة أيام من موته ، بعد أن أنتن .

٤ - نوع رابع ، من الإيمان الضعيف ، هو البطيء القلب في الإيمان . وربما يكون عن بطء في الفهم ، أو عن عدم إدراك ، فلا يأتي إيمانه سريعاً . وكان هذا هو نوعية إيمان تلميذي عمواس من جهة قيامة الرب . ولذلك وبخها قائلاً " أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء . أما كان ينبغي أن المسيح يتألم ... " (لو ٢٤ : ٢٥ ، ٢٦) . ثم بدأ يشرح لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب ... لكي يؤمنا ، أو لكي يعالج هذا البطء في إيمانهما ، الناتج عن عدم فهم أو عدم معرفة . وفي هذا المثال أيضاً نقول : إن علاج الأخطاء الخاصة بالإيمان ، هو الوضع السليم . وهذا أفضل من الإزدراء أو التحقير الذي لا يأتي بنتيجة ولا يوصل إلى الإيمان السليم .

٥ - وهناك حالة خطيرة هي الإيمان الميت :

فقد قال القديس يعقوب الرسول " الإيمان بدون أعمال ميت " (يع ٢ : ٢٠ ، ١٧) . وقال إن مثل هذا الإيمان لا يقدر أن يخلص صاحبه (يع ٢ : ١٤) . ورأي أن الإيمان الحي ينبغي أن تكون له أعمال تدل عليه ، فقال " أنا أريك بأعمالي إيماني " (يع ٢ : ١٨) .

٦ - هناك أيضاً إيمان غير ثابت :

مثال ذلك أن السيد المسيح (قبيل القبض عليه) قال لتلميذه بطرس " هوذا الشيطان طلبكم لكي لا يفني إيمانك " (لو ٢ : ١٨) . في ذلك الوقت إهتز إيمان بطرس ، لكنه عاد بعدئذ إلى قوته الأولى .

٧ - وهناك حالات وصفها الكتاب بأنها خروج عن الإيمان السليم . ومنها :

أ - قال القديس بولس الرسول " إن كان أحد لا يعتني بخاصته ، ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان ، وهو شر من غير المؤمن " (١تي ٥ : ٨) .

ب - وقال عن الأرمل الحدثات اللاتي يرجعن في نذرهن للبتولية " أرفضهن ، لأنهن متى بطرن على المسيح ، يردن أن يتزوجن . ولهن دينونة ، لأنهن رفضن الإيمان الأول " (١تي ٥ : ١٢) .

ج - وقال كذلك " محبة المال أصل كل الشرور . الذي إذا ابتغاه قوم ، ضلوا عن الإيمان ، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة " (١تي ٦ : ١٠) .

د - وقال " إحفظ الوديعة ، معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ... الذي إذ تظاهر به قوم ، زاغوا من جهة الإيمان " (١تي ٦ : ٢١) .

هل بعد هذه الأمثلة نستطيع أن ننكر علاقة الإيمان بالأعمال ؟!

لأنه هنا بعمل خاطئ يقال إن إنساناً أنكر الإيمان ، أو رفض الإيمان ، أو ضل أو زاغ عن لإيمان ... لعلنا بأمثال هذه المقاييس نمتحن أنفسنا ، عملاً بقول الرسول " إختبروا أنفسكم : هل أنتم في الإيمان " (٢ كو١٣ : ٥) .

٨ - أخطر حالة هي " الارتداد عن الإيمان " :

يقول الرسول " في الأزمنة الأخيرة يريد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة " (١تي ٤ : ١) . وعبارة الارتداد عن الإيمان ، تعني أنهم كانوا في الإيمان ثم ارتدوا ويتحدث الرسول عن الارتداد العظيم الذي يسبق مجيء المسيح فيقول إنه " لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً " (٢ تس ٢ : ٣) . هذا من الجهة العامة ، أما عن الناحية الفردية فيقول " أما البار فبالإيمان يحيا . وإن ارتد لا تسر به نفسي " (عب ١٠ : ٣٨) . وهنا يتكلم عن ارتداد إنسان مؤمن بار كان بالإيمان يحيا .

مادام المؤمن يمكن أن يريد ، إذن المؤمنون هم غير المختارين . فالمختارون يبقون على إيمانهم كل حياتهم ، حتى ملاقاة الرب ... كل ما ذكرناه في الأنواع السابقة ، هو عن السلبيات في الإيمان . نتابع كلامنا إذن عن الإيجابيات الإيمانية .

٩ - النمو في الإيمان :

يقول القديس بولس الرسول لأهل تسالونيكى " نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الأخوة ... لأن إيمانكم ينمو كثيراً " (٢ تس ١ : ٣) . وقال عن أهل كورنثوس إنهم يزدادون في الإيمان (٢ كو٨ : ٧) . إذن الإيمان فضيلة كسائر الفضائل ، يمكن أن ينمو فيها الإنسان ...

١٠ - حفظ الإيمان والثبات فيه :

يقول الرسول عن نفسه في أواخر حياته ، ووقت انحلاله ، ووقت انحلاله قد حضر " ... أكملت السعي ، حفظت الإيمان . وأخيراً وضع لي إكليل البر " (٢تي ٤ : ٧ ،٨) . ويقول لأهل كولوسى " ... ليحضر كم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه ، إن ثبتم على الإيمان ... " (كو ١ : ٢٣) . وأقوى من الثبات في الإيمان ، تعبير آخر هو :

١١ - الرسوخ في الإيمان :

يقول القديس بطرس الرسول عن محاربات إبليس " ... فقاوموه راسخين في الإيمان " (١بط٥: ٩) . وهناك درجة أخرى من الإيمان هي :

١٢ - الغني في الإيمان :

يقول القديس يعقوب الرسول " أما اختار الله فقراء العالم أغنياء في الإيمان ، وورثة الملكوت الذي وعد به الذين يحبونه " (يع ٢ : ٥) . وهناك درجة أزيد من الغني في الإيمان وهي :

١٣ - الامتلاء من الإيمان :

قيل عن القديس اسطفانوس أول الشمامسة " فاختاروا اسطفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس " ، " وأما اسطفانوس فإذ كان مملوءاً إيماناً وقوة ، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة ... " (أع ٦ : ٥ ،٨) . كل هذه الصفات تقال عن حالة لازمة للإيمان هي :

١٤ - الإيمان العامل بالمحبة :

يقول القديس بولس الرسول " في المسيح يسوع ، لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة " (غل ٥ : ٦) . ولعله ذكر عبارة الإيمان بدون أعمال ميت (يع ٢ : ٢٠) . أما عبارة المحبة ، فلأنه بها يتعلق الناموس كله والأنبياء (متى ٢٢: ٤٠) . وهناك نوع عظيم من الإيمان هو :

١٥ - الإيمان الذي يصنع العجائب :

تحدث السيد الرب عن " آيات تتبع المؤمنين " (مر١٦ : ١٧) . وقال القديس يعقوب الرسول " صلاة الإيمان تشفي المريض " (يع ٥ : ١٥) . ولكن لعل قمة هذا الأمر تبدو في قول الرب " كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٩ : ٢٢) . ولعل هناك نوعاً آخر ، ليس لصانع الأعجوبة ، إنما للذي يتقبلها وهو :

١٦ - إيمان الثقة والتصديق :

وهو الذي كان يتطلبه الرب ممن تحدث معه المعجزة . وأحياناً يسأله " أتؤمن؟ " . وكما قال للأعميين اللذين طلباً منه الشفاء " أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ " (متى ٩ : ٢٨) . وقد طوب الرب هذا النوع من الإيمان ، مثلما قال للمرأة الكنعانية " عظيم هو إيمانك " (متى ١٥ : ٢٨) . ومثلما قال عن قائد المائة " لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا " (متى ٨ : ١٠) .

١٧ - كل الإيمان :

يقول القديس بولس الرسول " إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ... " فاعتبر أن هذا الإيمان الذي ينقل الجبال ، هو كل الإيمان ، أي قمته ، ولا شئ بعده .

أنواع من الإيمان :

هناك فرق كبير بين نوعين من الإيمان : إيمان نظري ، وإيمان عملي .

١ - الإيمان النظري (العقلي) :

هو إيمان فكرى ، فلسفي . مجرد الاقتناع العقلي بوجود الله ، وبوجود الأمور التي لا ترى دون أن يكون لذلك أي تأثير على الحياة . وهناك نص يثبت أن الشياطين لهم هذا النوع من الإيمان . إذ يقول القديس يعقوب الرسول عن الإيمان الميت ، الخالي من الأعمال :

" أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون "

(يع ٢ : ١٩) . وسفر أيوب يعطينا دليلاً عملياً على هذه النقطة . لأن حديث الشيطان مع الله تبارك إسمه يثبت هذا الإيمان النظري ، إذ يقول الشيطان للرب " هل مجاناً يتقي أيوب الله ؟ أليس أنك سيجت حوله ... باركت أعمال يدية . ولكن إبسط الآن يدك ومس كل ماله ، فإنه في وجهك يجدف عليك " (أي ٢ : ٥) . وهذا الكلام كله يثبت أن الشيطان يؤمن عقلياً بأن هذا هو الله ، وأنه هو الذي بارك أعمال أيوب ، وهو القادر أن يمس ماله ، وأن يمس لحمه وعظمه . وأن أي عبارة تصدر من أيوب ضد الله تعتبر تجديفاً على الله ... ومع كل هذا كان الشيطان يحارب ملكوت الله وأولاده ، ولا يزال .

إيمان الشيطان العقلي الذي تحدث عنه معلمنا يعقوب ، هو أيضاً إيمان ميت ، حسب قول الرسول نفسه " إيمان بدون أعمال ميت " (يع ٢ : ٢٠) . فإن كان الإيمان الخالي من الأعمال الصالحة إيماناً ميتاً ، بالأكثر المشحون بالأعمال الردية ومقاومة كل صلاح أياً كان ...

إن الإيمان العقلي سهل . ما أسهل إثبات وجود الله بالأدلة العقلية وبالبراهين العديدة . المهم هو الإيمان العقلي . هذا يقودنا إلى النوع الهام من الإيمان ، وهو :

٢ - الإيمان العملي :

هو الإيمان الذي تظهر علاماته في الحياة العملية ، حياة إنسان يؤمن أن الله كائن أمامه ، يراه ويحسه ، ويتصرف بما يليق بهذا الإيمان . وهو يحب هذا الإله الذي يؤمن بوجوده وبعنايته ورعايته وحفظه ، ويكلم هذا الإله المحبوب في صلواته وتضرعاته ، ويخشى أن يفعل شيئاً يخرج قلبه المحب ... وفي اطمئنانه لعمله لا يخاف ولا يضطرب ، بل يحيا في سلام دائم ، مسلماً حياته كلها لتدبيره الحكيم ...

وهكذا يقوده الإيمان إلى عديد من الفضائل لا تحصي .

وهذا النوع من الإيمان سيكون موضوع كتابنا هذا بمشيئة الرب ، حيث سنشرح كيف يقود الإيمان حياتنا كلها لتصبح حياة الإيمان . وهذا المفهوم ينقلنا إلى صفة أخرى من صفات الإيمان السليم وهي :

٣ - إيمان دائم :

ونعني به أنه لا يكون إله مناسبات . فلا يظهر إيماننا فقط حينما نكون في الكنيسة أو في اجتماع روحي ، أو حينما نصلي ، أو نقرأ الكتاب ، أو نتقدم للتناول . وإنما يظهر هذا الإيمان في كل وقت ، وكل مكان ، في خارج الكنيسة كما في داخلها . الله أمامنا باستمرار ، وفي فكرنا باستمرار ، بالإيمان لا يتغير . إنه ليس فقط إله الكنائس وإله الكتاب ، إنما هو إله القلب والفكر جميعاً ، وإله الحياة كلها .

٤ – إيمان دون أن يرى :

إيمان لا يعتمد على الحواس ، وينطبق عليه قول الرب " طوبى للذين آمنوا دون أن يروا " (يو ٢٠: ٢٩) . ليس مثل العلماء الذين لا يؤمنون بشيء ، إلا إذا أحضروه في معاملهم ، وتيقنوا منه بأبصارهم وأجهزتهم . وليس مثل الصدوقيين الذين أنكروا وجود الملائكة والقيامة والأرواح (أع ٢٣ : ٨) ، لأنهم لا يرون شيئاً من ذلك كله ...

٥ - إيمان الثقة والاختبار :

إنه ليس الإيمان بالله الذي نقرأ عنه في كتب اللاهوت ، أو في المعاهد الدينية ، أو في الكنائس وفي فصول التعليم الديني على أنواعها . وإنما إيمان بالله الذي اختبرناه في حياتنا ، وعاشرناه ، وأدخلناه في كل تفاصيل حياتنا ، واختبرنا عملياً قول داود النبي " ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب " (مز ٣٤ : ٨) ... ووجدنا أن الله عجيب عجيب ، إلى أبعد الحدود ، فوق ما يتصور العقل ... حياتنا كلها مجرد عشرة معه ، ذقنا فيها حلاوته وحبه ورعايته ، ورأينا أيضاً قوته وجلاله . وجربنا كيف يدخل في مشاكلنا ، بطرق ما كانت تخطر على عقولنا . ونتيجة للإختبار ، صارت لنا ثقة ، غير مبنية على الكتب ، وإنما على ما لمسناه بأيدينا ... لذلك إيماننا إيمان حقيقي راسخ في قلوبنا .

٦ - إيمان قوى :

وهو الإيمان الذي يستطيع كل شئ (مر٩ : ٢٣) . ويمكنه أن ينتصر على كل عقبة . ولا يرى أمامه شيئاً مستحيلاً . بل كما قيل عن زر بابل " من أنت أيها الجبل العظيم ؟! أمام زر بابل تصير سهلاً " (زك ٤ : ٧) . إنه الإيمان الذي يستطيع أن يضع قدمه في الماء ، لكي يعبر البحر الأحمر في أيام موسى النبي (خر ١٤ : ٢٢) ، وأن يعبر نهر الأردن في أيام يشوع (يش ٣) . ويستطيع أن يمشي في داخل الغمر العظيم ، والمياه تحيط به مثل سور ، عن يمين وعن شمال ، دون أن يخاف ... إنه الإيمان الذي يستطيع أن يضرب الصخرة فيتفجر منها الماء (خر ١٧ : ٦) . وهو الإيمان الذي يسير في الصحراء بلا زاد وبلا مرشد ، يجمع طعامه من المن النازل من السماء يوماً بيوم (خر ١٦ : ١٥ - ٢٣) . إنه الإيمان القوى الذي استطاع أن ينقل الجبل المقطم على يد سمعان الدباغ ،أيام البابا ابر آم بن زرعه . وهو الإيمان القوى الذي استطاع به إيليا النبي أن يقول " لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي " (١مل ١٧ : ١) . وهكذا " لم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر . ثم صلي فأعطت السماء مطراً " (يع ٥ : ١٧ ، ١٨) . وهكذا استطاع أن يغلق السماء ويفتحها . ما أكثر الأمثلة عن هذا الإيمان القوى . ولكن هناك أمثلة أخرى عن هذا الإيمان القوى ، تبدو في مظهر آخر هو :

٧ - إيمان لا يتزعزع :

إنه إيمان ثابت ، لا يتأثر مطلقاً بالعوامل الخارجية : فهو يؤمن بمحبة الله سواء كان على جبل التجلي أو على جبل الجلجثة . يؤمن بمحبة الله الذي يعطيه من سارة نسلاً في ظروف تدعو إلى اليأس ،تماماً تماماً كما يؤمن بمحبة الله وهو يقول له : خذ إبنك وحيدك الذي تحبه إسحق ، وأصعده هناك محرقة على الجبل الذي أريك إياه (تك ٢٢ : ٢) .

أن إبراهيم وهو يرفع بيده السكين على إبنه اسحق ، ما كان يشك مطلقاً في محبة الله ، ولا في صدق مواعيده ...

لم يتزعزع إيمانه مطلقاً في هذا الإله ، ولا في أنه سيكون له من اسحق نسلاً مثل نجوم السماء ورمل البحر في الكثيرة ... إن الإيمان الثابت لا يتغير بالظروف الخارجية المحيطة به ، لأن ثقته ثابتة في الله ، وسلامه القلبي لا يستمده من الظروف الخارجية ، إنما من الله نفسه ومحبته وصدق مواعيده .

٨ - الإيمان كموهبة :

هناك إيمان عادى ، وإيمان يعتبر موهبة من الروح القدس . ولا شك أن هذا له درجة عالية تفوق الإيمان العادي بكثير ... يقول القديس بولس الرسول في حديثه عن المواهب " فأنواع مواهب موجودة ، ولكن الروح واحد ... ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة . فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ... ولآخر إيمان بالروح الواحد . ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ... " (١كو١٢: ٤ - ٩) . وهكذا أيضاً وضع الإيمان ضمن ثمار الروح (غل ٥ : ٢٢) . ويبدو هنا أننا لا نستطيع أن نفصل الإيمان عن عمل الروح القدس : إما من ثمار الروح ، وإما من مواهب الروح . ولكل منهما درجته ...

٩ - الإيمان السليم :

ما أكثر ما يؤمن الناس بأفكار ، أو مذاهب ، سياسية أو اجتماعية ، ويعطيهم إيمانهم بها قـــوة علـــى التنفيذ ، وعلى نقلها إلى عقول الناس ... ولكننا نود في هذه الصفات أن نتحدث عن الإيمان الســـليم ، الذي يكون له طابع روحي وصلة وطيدة بالله " الإيمان العديم الرياء " (١تـــي ٢ : ٥) ، " الإيمـــان المسلم مرة للقديسين " (يه٣) ... هذا الإيمان الطاهر النقي فكراً وسلوكاً . وهذا يجعلنا نقول :

إن الإيمان ، ليس هو مجرد عقيدة ، إنما هو حياة ... **أو هو حياة مؤسسة على عقيدة . أو هو عقيدة إختبارية عاشها الناس ، وليست مجرد أفكار في الكتب .**

وما نريد أن نتحدث عنه في هذا الكتاب هو هذه الحياة ، حياة الإيمان ...

الفصل الرابع

علاقة الإيمان

من صفات المؤمن ، أن يكون قلبه مملوءاً بالسلام والهدوء . لا يضطرب مطلقاً ، ولا يقلق ، ولا يخاف ، لأنه يؤمن بحماية الله له ... وهو يحتفظ بسلامه الداخلي ، مهما كانت الظروف الخارجية تبدو مزعجة . يخاف الشخص الذي يشعر أنه واقف وحده . أما الذي يؤمن أن الله معه فلا يخاف ...

١ - هوذا داود النبي يقول " إن يحاربني جيش ، فلن يخاف قلبي . وإن قام على قتال ، ففي هذا أنا مطمئن " (مز ٢٧ : ٣) . وإن سألته عن السبب في هذا ، يجيب في نفس المزمور " الرب نوري وخلاصي ، ممن أخاف ؟! الرب حصن حياتي ، ممن أرتعب " (مز٢٧ : ١) لقد اختبر الرب ومعونته وحمايته ، فقال عندما اقترب إلى الأشرار ليأكلوا لحمي ، مضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا " (مز ٢٧ : ٢) .

إنه لايستمد سلامه من تحسن الظروف الخارجية من حوله ،إنما يستمد سلامه من عمل الله فيهاومعه .

لذلك فهو يقول في مزمور الراعي " إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً " لماذا ؟ " لأنك أنت معي " (مز ٢٣ : ٤) . إن كان لك هذا الإيمان ، أن الله معك ، فلن تخاف ، مهما حاربك جيش، أو قام عليك قتال ، حتى إن سرت في وادي ظل الموت .

٢ - ولعل هذا السلام وعدم الخوف ، نراهما في مقابلة إيليا النبي لآخاب :

كان آخاب الملك يفتش عن إيليا النبي في كل مكان لكي يقتله . ومع ذلك فإن إيليا ذهب ليتراءى لآخاب . ولما حذره عوبديا من الخطر ، أجاب إيليا " حي هو رب الجنود الذي أنا واقف أمامه ، إني اليوم أتراءى له " (١ مل ١٧ : ١٤، ١٥) . وقد كان . قابل إيليا آخاب الملك ، ولم يخف منه . بل وبخه على عبادته للأصنام (١مل ١٧ : ١٨) . إيليا لم يكن يخاف ، لإيمانه أنه واقف أمام رب الجنود .

٣ - وبالمثل كان داود في لقائه مع جليات الجبار .

داود - الصبي الصغير - كان بالإيمان مملوءاً بالسلام لا يخاف جليات ، بل يتكلم بثقة ... ويقول لشاول الملك " لا يسقط قلب أحد بسببه " (١ صم ١٧ : ٣٢) . أما الملك وكل جيشه فكانوا خائفين ، ومرتاعين جداً . لأنهم لم يكونوا ناظرين إلى الله الذي لا يرى مثلما كان ينظر داود ... بل كانوا مركزين أبصارهم في هذا الذي يرونه أمامهم " الرجل الصاعد " الذي " طوله ست أذرع وشبر ، وقناة رمحه كنول النساجين ، ووزن درعه خمسة آلاف شاقل نحاس " (١ صم١٧ : ٤-٧) . داود رجل الإيمان ، لما دخل إلى ميدان المعركة أدخل الله معه ، وأدخل روح الإيمان والاطمئنان إلى قلوب رجال الحرب بقوله " من هو هذا الأغلف حتى يعير صفوف الله الحي ... لا يسقط قلب أحد بسببه " ١ صم ١٧ : ٢٦ ، ٣٢) . وقال لذلك الجبار " أنت تأتي إلى بسيف ورمح . وأنا آتي إليك باسم رب الجنود " (١صم ١٧: ٤٥). أعني أنت تأتي إلى بال التي ترى ، وأنا آتي إليك بالذي لا يرى .

وسنلاحظ أن إسم الله لم يفارق لسان داود . وكان يمنحه سلاماً

وبهذا الإيمان ، وهذا السلام القلبي ، وبهذه الثقة تقدم داود إلى ذلك الجبار المرعب ، وقال له في يقين الإيمان " اليوم يحبسك الرب في يدي ... فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله ... لأن الحرب للرب " (١صم١٧ :٤٦،٤٧). حقاً إن الرجل المؤمن لا يعرف الخوف ، مهما كانت الظروف مخيفة من حوله ... سلامه القلبي لا يفارقه مطلقاً ... بل يمنحه الإيمان أيضاً شجاعة وبسالة .

٤ - في وسط الضيقة ، أياً كانت ، نرى الإيمان يعطي سلاماً .

ضيقة تحل بإثنين : أحدهما مؤمن والآخر غير مؤمن . فيضطرب غير المؤمن ويخاف ويقلق ، ويتصور أسوأ النتائج ، وتزعجه الأفكار ... أما المؤمن فيلاقيها بكل اطمئنان ، وبسلام قلبي عجيب . وقد تسأله البعض عن شعوره إزاء الضيقة فيقول هذه المشكلة ، سيتدخل الله فيها ويحلها ، وستؤول

إلى الخير " وقد تسأله كيف سيتدخل الله ؟ فيجيبك : أنا لا أعرف . ولا يهمني هذا . إنما أعرف أننا لا نهتم بمشاكلنا ، فالله هو المتهم بالكل ...

حقاً إني لا أعرف كيف ستحل المشكلة . ولكني أعرف الله الذي سيحلها .

وهكذا يقوده الإيمان إلى الاطمئنان . وهكذا أولاد الله يعيشون دائماً في سلام . بل وفي فرح ، شاعرين أن الله معهم ، هو الذي يتولى كل أمورهم ، ويعمل من أجلهم ما لا يستطيعون عمله لأجل أنفسهم ...

٥ - إن يونان - حتى وهو في بطن الحوت - لم يفقد إيمانه وسلامه .

بل إنه صلي إلى الرب وهو في بطن الحوت ، صلاة كلها إيمان ، وقال في ثقة " ولكنني أعود أنظر هيكل قدسك " (يون ٢ : ٤) . ونذر للرب نذر للرب نذراً وقال : " أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك . وأوفي بما نذرته . للرب الخلاص " (يون ٢ : ٩) . حتى وهو في بطن الحوت ، كان يرى خلاص الرب . وكان يرى أنه سيخرج منه ، ويرى الهيكل المقدس ، ويذبح للرب ويوفي نذوره .

إنه الإيمان مصدر كل سلام وراحة . لا خوف فيه ولا قلق .

٦ - فإذا قل الإيمان ، حينئذ يخاف الإنسان .

بطرس في إيمانه استطاع أن يمشي مع الرب فوق الماء ، ناسياً كل قوانين الجاذبية . فلما تذكرها وخاف حينئذ سقط ، فوبخه الرب قائلاً " ياقليل الإيمان لماذا شككت " (متى ١٤ :٣١) . وهكذا ربط الرب بين الخوف والشك وقلة الإيمان . وحقاً إنه ترابط عجيب :

الشك يضعف الإيمان . وضعف الإيمان يؤدي إلى الخوف . والخوف يسبب السقوط .

وبنفس الوضع نتحدث عن التلاميذ لما هاجت عليهم الأمواج في السفينة . رؤيتهم الأمواج تغطي السفينة ، بينما الرب نائم فيها ، جعلتهم يشكون في اهتمام الرب بهم . والشك أضعف إيمانهم ، فخافوا . لذلك وبخهم الرب قائلاً " ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان " (متى ٨ : ٢٦) .

في كل مرة تخاف ، وبخ نفسك على قلة إيمانك .

قل لنفسك أين هو إيماني بأن الله موجود ، وبأنه ضابط الكل يرى كل شئ ؟

وأين إيماني بمحبة الله ، وبتدخله في مشاكل ، وبقدريه على كل شئ ، وأين إيماني بأن الله صانع الخيرات ، وبأنه لابد سيصنع معي خيراً ؟! هذه الأفكار كلها تقوى إيمانك ، وتمنك سلاماً ، وثقة بعمل الله .

الإيمان مريح للنفس . لأن الذي يؤمن بوجود الله ، لا يشعر بالوحدة . بل يثق أن هناك قوة إلى جواره

إنه يؤمن بوجود هذه القوة القادرة على كل شئ ، التي تسانده ، والتي كلها حب وعدل . وهي تعمل الخير الجميع ، وتتراءف على كل من هو في ضيقة ... وإذ يطمئن إلى هذه القوة الإلهية الحافظة ، يمتلئ قلبه سلاماً ، ولا يقلق ولا يخاف ... أما غير المؤمن ، فإذ لا يثق بقوة خفية تسنده ، نراه يتعب ، ويقف وحيداً في ضيقاته فاقداً للسلام ...

٧ - القديس بطرس كان في السجن ، وقد نام نوماً ثقيلاً .

مع أن هيرودس الملك ، لكي يرضي اليهود ، كان قد قتل القديس يعقوب بن زبدي أحد الإثني عشر ، وأمر بالقبض على القديس بطرس وألقاه في السجن " مسلماً إياه إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه " . وكان مزمعاً قتله بعد الفصح (أع ١٢ : ١ - ٤) . وعلى الرغم من السجن ، ومن الحراسة المشددة ، ومن توقع القتل ... نام بطرس في السجن ، واثقاً من وجود حراسة إلهية تحرسه ، أكثر من حراسة العسكر عليه . وكان نوماً ثقيلاً ، لدرجة أن الملاك الذي أتى لينقذه ، ضربه في جنبه ليوقظه (أع ١٢ : ٧) ... أي سلام قلبي هذا ، الذي يجعل إنساناً في مثل هذه الظروف ينام ، وهو في السجن ، وفي نفس الليلة التي كان فيها هيرودس الملك مزمعاً أن يقدمه للقتل ... !

إنه الإيمان بحفظ الله ، إن أراد له حياة على الأرض ...

أو الإيمان بالأبدية السعيدة ، إن شاء الله له أن يستشهد .

وفي كلتي الحالتين ، الأمر يدعو إلي الفرح . بذلك كان السلام يملأ قلبه . و كان ينام في هدوء . و ما كانت الأمور الخارجية تزعجه ... و لعله كان هناك سبب آخر لهذا السلام ، و هو أنه " كان بطرس محروساً في السجن . و أما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلي الله من أجله " (أع ١٢: ٥) .

الإنسان المؤمن هو الذي يستطيع أن ينام في حضن الله و يستريح .

إنه يسلم حياته وكل مشاكله للرب . ويقول للرب : ما دمت أنت قد استلمت هذه الموضوعات ، فأنا سوف لا أشغل نفسي بها . إنها قد انتهت بالنسبة إلى ، وانتقلت إلى يديك أنت ، وأنا واثق أنك ستصنع كل خير . أما أنا فمطمئن إلى عملك ، وسأنام وأستريح . لذلك حسناً قيل في المزمور إنه " يعطي أحباءه نوماً " (مز ١٢٧ : ٢) .

٨ - دانيال النبي والثلاثة فتية ، مثال للإيمان المملوء بالسلام .

دانيال كان ينتظر أن يلقى في جب الأسود ، ومع ذلك لم يفقد سلامه ، ولم يفقد أيضاً شجاعته . واحتفظ بإيمانه ، وصلي إلى الله إلهه بكل مجاهرة ، وبلا خوف . في جب الأسود ، كان قلب دانيال أقوى من قلوب جميع الأسود التي معه ... وكأنه يقول : وماذا إن ألقوننى في جب الأسود ؟ أليس الرب هناك أيضاً . أو ليس هناك ملاكه يسد أفواه الأسود ... وكذلك الثلاثة فتية ما خافوا من أتون النار . لاشك أن الإيمان يخلق في قلب كل شجاعة وجرأه ، وينزع منه كل خوف .

٩ - وهكذا كان القديسون في طريقهم إلى الاستشهاد .

كانوا يغنون أغاني الفرح ، ويسبحون الله ، وهم في طريقهم إلى الموت . وما كان الموت يزعجهم ، ولا العذاب . كان إيمانهم بالحياة الأخرى ، وبالأبدية السعيدة ، وبعشرة الرب في الفردوس ، كل ذلك كان يملأهم سلاماً بل وفرحاً ، بل أيضاً اشتياقاً إلى الموت ، مغنين مع بولس الرسول " لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح . فذاك أفضل جداً " (في ٢٠ : ٢٣) . إن الموت لا يخيف المؤمن ، بل يفرحه ...

١٠ - في كل ضيقة وصعوبة وعقبة ، المؤمن لا يخاف ، ولا يفقد سلامه .

المؤمن ينتصر على العقبات ، دون أن يخاف منها . يشعر أن الله سيحل الصعوبات التي تصادفه يتركه وحده فيها . أما غير المؤمن فربما الصعوبات تصيبه بالتردد والخوف . وبعدم إيمانه يجبن . بل عدم الإيمان قد يصور له صعاباً ومخاوف غير موجودة ، كأن " الأسد في الطريق . الشبل في الشوارع " (أم٢٦ : ١٣) . أما المؤمن فلا يخاف مطلقاً مهما صادفته المصاعب والمتاعب . إنه يلاقيها كلها في هدوء وفي اطمئنان واثقاً بعمل الله معه .

١١ - بهذا الإيمان والاطمئنان ، وقف القديس أثناسيوس يحارب الأريوسية .

بكل ما كان للأريوسية من صلة بالإمبراطور ، وتأثير عليه وعلى حاشيته . بل بكل ما كان لها أيضاً من تضليل للشعب ، وضغط على الأساقفة وإقناع لبعضهم ، وإثارة جو عام من الشك . حتى قيل لهذا البابا المؤمن :

[العالم كله ضدك يا أثناسيوس] فأجاب [وأنا أيضاً ضد العالم]

وهكذا لم ترهبه قرارات النفي من الأباطرة ، ولا قرارات الحرم من بعض الأساقفة ، ولا الشكوك المنتشرة في كل مكان ، ولا الاتهامات الباطلة التي يلصقونها به . وإنما ظل يطوف من بلد ، بكل ثقة ، يعلم ويقنع ، ويزيل الشكوك ، ويثبت الناس في الإيمان ، ويكتب الردود والمقالات ، ويدحض براهين الأريوسيين ... إلى أن انتصر أخيراً ، الإيمان على يديه . وقال القديس جيروم :

[مر وقت ، كاد فيه العالم كله أن يصبح أريوسياً ، لولا أثناسيوس]

هذا هو الإيمان الذي لا يعرف خوفاً ولا اضطراباً ، ولا تهزه الأحداث ، بل يحتفظ بسلامه وسط النيران المتقدة إلى أن يطفئها الله ... إن إيمان القديس أثناسيوس بالعقيدة التي كان يدافع عنها ، منحه قوة جبارة ، وقف بها ضد جميع المقاومات . وكل قوة أثناسيوس ، إنما تكمن في إيمانه ، الإيمان الذي يستطيع أن يصنع الأعاجيب .

١٢ - بالإيمان بشر أناس بالمسيح في بلاد تأكل لحوم البشر ولم يخافوا .

ودخلوا في مجاهل أفريقيا ، وفي الغابات ، وفي مناطق خطرة حتى من جهة طبيعتها ومناخها أهلها . ولم يخافوا . إيمانهم بالله الحافظ لهم ، أعطاهم قوة وشجاعة . وكذلك إيمانهم بخيرية وأهمية العمل الذي يقومون به ، أهمية أن يوصلوا كلمة الله للنفوس التي هناك حتى لا تهلك في عدم إيمان . كل هذا أعطاهم قوة ، ونزع الخوف من قلوبهم ، فتمموا عملهم ،ولم تثنهم عنه الغربة ، ولا قسوة المناخ ، ولا وحشية الناس ، ولا خطورة الطبيعة ...

١٣ - بالإيمان أخذ أبونا نوم معه الوحوش في الفلك ولم يخف .

مادام الله قد قال له خذها معك اثنين ، إذن فسيأخذها . والله الذي أصدر الأمر سيحفظه منها . وستكون معه كما كانت مع آدم في الفردوس ، يعيش معها بلا خوف ، وبكل سلام في القلب ... وقد كان . أبونا نوح كان مؤمناً بكلمة الله له ، لذلك لم يخف .

١٤ - بل إن كل من آمن بفكرة ، يعطيه الإيمان بها قوة لتنفيذها .

وهكذا كان المصلحون في كل زمان ومكان . آمنوا بفكرة ، فجاهدوا بكل قوة لتنفيذها . وبسبب إيمانهم احتملوا الكثير من الضيق ، حتى أكملوا عملهم . غاندي مثلاً آمن بحق الإنسان فى الحرية ، وآمن بسياسة عدم العنف . وأعطاه هذا الإيمان قوة عجيبة إستطاع بها أن يجرر الهند ، وأن يعطى الحقوق للمنبوذين متساوين مع إخوتهم . واستطاع أن يحتمل الكثير لكي لا يسلك أتباعه بعنف ، ولا يلاقون العنف بالعنف . إيمانه بالفكرة أعطاه القوة على تنفيذها ، فكم بالأكثر بما لا يقاس : الإيمان بالله .

١٥ - بل حتى الإيمان بالعلم يصنع الأعاجيب . مثال ذلك رواد الفضاء .

وأقصد كمثال إيمانهم بما قيل لهم عن منطقة انعدام الوزن . وكيف أن الإنسان فيها يمكن أن يمشى في الجو دون أن يسقط . من من الناس يجرؤ أن يمشى فى الجو دون أن يخاف . أما الذي جعلهم ينفذون ذلك فهو إيمانهم الأكيد ببحوث العلماء الذين قالوا بهذا . والإيمان يعطى قوة وشجاعة . فكم بالأكثر الإيمان بالله .

إن الفرق بين أشجع الناس وأخوف الناس ، هو الإيمان .

إن الشخص الجريء هو الذى لديه إيمان ، بأنه لن يحدث له ضرر ما ، أو هو المؤمن بلزوم عمله وضرورته مهما حدث له ، أو هو المؤمن بصفة الشجاعة وعدم الخوف . أما الجبان فهو على عكس هذا كله .

١٦ - أيضاً الإيمان بالأبدية ، يعطى الإنسان راحة وسلاماً .

إذ يوقن أنه لابد سينال حقه ، إن لم يكن على الأرض ، ففى السماء . ولا يكن مظلوماً هنا وهناك . كذلك سينال سعادته كاملة : مالم يتحقق منها هناء ، سيتحقق بكل تأكيد فى النعيم الأبدى . وهكذا يعيش مرتاحاً ، ولو كان مثل لعازر المسكين .

١٧ - الإيمان بقوة الصليب ، يمنع الخوف .

الذى يؤمن بالصليب وقوة الصليب وعلامة الصليب ، كثيراً ما يشعر باطمئنان إذ يحتمي وراء هذا الصليب . فإن تعرض لخوف أو خطر ، ورشم ذاته بعلامة الصليب ، يمتلئ قلبه سلاماً ، ويحس أن قوة تحميه ، وتمنع عنه الخوف ، ويحس أن قلبه دخلته قوة لم تكن فيه من قبل وصارت له علامة الصليب سلاحاً .

وهناك إنسان آخر له إيمان كبير بفاعلية المزامير .

يتلوها فى أى وقت ، أو فى وقت الحاجة ، فيشعر أن المزمور فيه قوة خاصة ، تطمئن قلبه وتمنحه سلاماً . فإن كان خائفاً مثلاً ، وتلا مزمور ٩١ (الساكن في ستر العلى) ، أو ٢٣ (الرب ير عانى) ، أو ٢٧ (الرب نوري وخلاصي) ... للوقت يشعر بسلام داخله ، وبأن قوة المزمور قد حلت عليه . نحن نعرف أن المزامير قد بالروح (متى ٢٢ : ٤٣ ، ٤٤) . وأنها كجزء من الكتاب ، قالها داود مسوقاً القدس (٢بط ١ : ٢١) . لذلك لها قوة بلا شك .

آخرون لهم إيمان في أرواح القديسين وعملها لأجلهم .

لذلك يشعرون بسلام ، حينما يطلبون صلاة ومعونة قديس يحبونه ويثقون بدالته عند الله . أذكر بهذه المناسبة راهباً أثيوبياً متوحداً ، كان يعيش في مغارة في وادي النطرون . فى إحدى المرات ضل طريقة بالليل ، إذ كان يشكو وقتذاك من ضعف فى بصره . وأقبل عليه الليل والظلام . فرسم دائرة واسعة على أرض الصحراء ، وحوطها بعلامة الصليب من كل ناحية ، ونام داخلها . وفي الصباح رأى آثار الدبيب والحيوانات خارج الدائرة ، ولم تستطيع أن تدخلها لتؤذيه . أتذكر منذ زمن طويل ، أنني كنت مسافراً فى سفينة ، وقد هاجت الأمواج جداً عليها ، وخاف الركاب . ونظرت فرأيت من بين الركاب معنا إنساناً طيباً جداً كنت أثق كثيراً بقداسته . فاطمأن قلبي . وقلت فى داخلي " من المحال يسمح الله بغرق السفينة ، وفى داخلها هذا الإنسان الطيب الذى يحب الله " . ونجت السفينه فعلاً ، ولم يحدث لها أي ضرر . لقد كان مجرد وجود هذا الإنسان الطيب سبباً فى السلام وتقوية الإيمان . وربما كان هذا شعور ركاب آخرين ... إن القصص الاختيارية فى هذا المجال ، لاتدخل تحت حصر . وكلها تقوى الإيمان . ولكنى لست أرى الآن مجالها ... نكتفى بهذا الجزء وندخل فى علامة أخرى من علامات الإيمان ...

الفصل الخامس

علاقة الإيمان

بنقاوة القلب

لاشك أنك تخجل أن تخطئ أمام إنسان بار تحترمه .

وقد تكون في حضرته في منتهي الحرص ، تستحي من أن ترتكب شيئاً مشيناً أمامه . لا تحب أن يأخذ عنك فكرة سيئة ، أو أن تسقط من نظره . بل قد تحترس أيضاً من الخطأ أمام أحد خدمك أو مرءوسيك ،لئلا يحتقرك في داخله، أو يقل احترامه لك ...

لذلك فغالبية الخطايا في الخفاء ، إما بسبب الخوف أو بسبب الاستحياء . هكذا قيل عن الخطأة إنهم (أحبوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم شريرة)(يو٣:١٩). وقال الرب عن أعدائه المتآمرين عليه (هذه ساعتكم وسلطان الظلام)(لو٢٢:٣٥).

فإن كنت تخجل أو تخاف من إنسان يراك، فكم بالأولي الله ؟.

فإن آمنت تماماً بأن الله موجود في كل مكان أنت فيه ، يراك ويسمعك ويرقبك ، فلا شك سوف تخجل أو تخاف من أن ترتكب أي خطأ . أمام الله . ولهذا فإن القديس يوسف الصديق عندما عرضت عليه الخطية ، رفض **الخطية قائلاً : (كيف أفعل هذا الشر العظيم واخطئ الى الله)(تك٣٩:٩).**

إعتبر أنه أخطأ إلي الله . كسر لوصاياه . وعدم احترام له ، إذ يفعل الشر قدامه بلا حياء ... فهل عندك هذا

الشعور؟ هل تضع الله أمامك في كل خطية تحارب بارتكابها . وهل تذكر ما قاله الرب لكل ملاك من ملائكة السبع (في سفر الرؤيا). إذ قال لكل منهم :.

(أنا عارف أعمالك)(رؤ٢:٢ ،٩،١٣،١٩،رؤ١٥،٨،٣:١).

لو عرفت هذا ستخجل وتخاف ، وتمتنع عن الخطية ، لأن خوف الله سيكون أمام عينيك باستمرار في كل مرة تحاول أن تخطئ .

بل إنك تشعر بالاستحياء من أرواح الملائكة والقديسين .

إن كنت اؤمن من كل قلبك أ، ملائكة الله حالة حولنا (مز٣٤:٧). وأننا (صرنا منظراً للعالم ، للملائكة والناس)

(١كو٤:٩).. حينئذ لابد ستخجل من الملاك الذي حولك ، والذي لقداسته لا يحتمل رؤية بعض الخطايا فيتركك وكذلك لابد ستخجل من أرواح القديسين ومن أرواح أقربائك ومعارفك .. وبهذا الخجل تبعد عن الخطية ، وتفتر إلي حياة النقاوة ..

وإن كنت تؤمن أن الله قدوس ، ستخشي أ، تظهر نجاساتك أمام هذه القداسة غير المحدودة . وفي كل مرة تقول في صلاتك (قدوس قدوس قدوس) ستشعر في داخلك بخزي عظيم علي الماضي ، ولا تجرؤ علي ارتكاب الخطية في المستقبل . إن اشعياء النبي عندما سمع السارفيم يسبحون الرب بهذه التسبحة (قدوس) صرخ قائلاً (ويل لي قد هلكت . لأني إنسان نجس الشفتين)(أش٦: ٣،٤).

إن كنت تؤمن أن الله فاحص القلوب وقارئ الأفكار ...

وأنه يعلك كل ما يخطر علي فكرك وفي قلبك من مشاعر وخطط وتدابير ، حينئذ كنت تخاف من معرفته لدواخلك وتخجل من قدسيته ، وتبتعد عن هذه الأفكار والمشاعر ، فتصل إلي حياة النقاوة .

لعلك تقول :

أنا أؤمن بكل هذا : أؤمن ان الله موجود ، وأنه ير كل شئ ويسمع ، وأنه يفحص القلوب ويقرأ الأفكار . ومع ذلك أنا لا أزال في أخطائي . أجيبك علي هذا بأنه :

ربما تؤمن بكل هذا نظرياً . ولكنك لا تحيا حياة تليق بإيمانك..

إن ، الذي يحيا في هذا الإيمان بإن الله يراه ، والملائكة تراه ، وأرواح المنتقلين تراه . عملياً لو وضع هذا الفكر
في قلبه ، لكان يخجل ، وتضغر نفسه في عينيه ، ولا يجرؤ أن يكمل خطاياه . ولكن علي رأي أحد الآباء – كما ورد في بستان الرهبان كل خطية يسبقها إما الشهوة ، أم التهاون ، أو النسيان .

لعل الإنسان يكون أثناء الخطية ناسياً الله وملكوته .

ولعله يكون ناسياً أنه صورة الله ومثاله ، إن كان يؤمن حقاً بهذا . ولعله يكون ناسياً أيضاً كل وصايا الله ، وكل إنذاراته ، مع أنه نظرياً يؤمن بكل هذا ، ولكن لا يحياه . هو كما قلنا : له إسم المؤمن ، وليس له حياة المؤمن ..

لذلك : إن كنت تؤمن بالأبدية ، فضع الأبدية أمامك لكي لا تخطئ .

عن الذي يؤمن حقاً بإن الموت يأتي كلص (١تس٥:٢). والذي يؤمن بأن الله عادل . ولقد قال إنه سيأتي ليجازي كل واحد حسب أعماله (رؤ٢٢:١٢). والذي يؤمن بالحياة بعد الموت ، والدينونة ، والثواب العقاب ،والوقوف أمام الله في ذلك اليوم الرهيب الذي فيه تفتح الأسفار ، وتكشف النيات والأفكار ، وتعلن كل أعمال
بني البشر أمام الكل . الذي يؤمن بهذا حقاً إيماناً عملياً ، من الصعب عليه أن يخطئ ، بل يجد رادعاً داخله يثنيه ، خوفاً وخجلاً .. وتراه دائماً يستعد لملاقاة الرب في ذلك اليوم ...
ولماذا أتكلم عن الدينونة ، إني أقول من ناحية أخري :
إن كنت تؤمن بمحبة الله ، فإنك تخجل أ، تجرح محبته .
كثيراً ما تقول (الله محبة)(١يو٤: ٨،١٦) . ولكنك أثناء الخطية ، لا تكون في حالة إيمان عملي بمحبته . بل ربما لا تكون هذه المحبة في فكرك إطلاقاً . أم كنت تؤمن حقاً بأن المحبة هي الرباط المقدس الذي يربطك بالله ، فكيف يمكن أن تخطئ ؟. (المولود من الله لا يخطئ)(١يو٣:٩).

بل أنت لا تخطئ ، إن كنت تؤمن بالفضيلة كمنهج حياة .

كثيرون يتحدوثون عن الفضيلة ، ويدعون الآخرين إليها ، ويمجدونها كثيراً . ولكنهم لا يجبونها .،لا يؤمنون عملياً بإن تكون الفضيلة هي منهج حياة لهم . وإن آمنوا بذلك عملياً لعاشوا في حياة النقاوة ، منكتين أنفسهم بشدة علي كل ضعف ...

أيضاً الذي يؤمن بفناء هذا العالم ، يزهده ولا يخطئ .

مثلما كان يقول داود النبي (غريب أنا علي الأرض ، فلا تخف عني وصاياك)(مز١١٩:١٩).(غريب أنا عندك ، نزيل مثل جميع آبائي)(مز٣٩:١٢). وهكذا عاش رجال الإيمان في كل جيل (أقروا إنهم غرباء ونزلاء علي الأرض .. يبتغون وطناً أفضل .. سماوياً)(عب١١:١٣،١٦) زهدوا كل شئ في هذه الدنيا وأطاعوا قول الرسول)(لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم . لأن العالم يمضي وشهوته معه)(١يو٢: ١٥،١٧).

وبهذا الإيمان عاشوا في العالم ،دون أن يعيش العالم فيهم .

وكان هؤلاء (الذين يستعملون العالم ، كأنهم لا يستعملونه)(١كو٧:٣١).وبهذا الإيمان علي نطاق أكبر عاش الرهبان والمتوحدين وسكان الجبال زهد ونسك (وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم ،تائهين في براري وجبال وشقوق الأرض)(عب١١:٣٨) وشهد لهم بالإيمان ...
وهكذا يفعل الإيمان ، في تنقية القلب . وكما قال الرسول :

(هذه هي الغلبة التي تغلب العالم ، إيماننا)(١يو٥:٤).

إيماننا بأن يعيش علي الأرض (غير ناظرين إلي الأشياء التي ترى ، بل إلي الأشياء التي لا ترى . لأن التي لا ترى وقتية ، أما التي لا ترى فأبدية)(٢كو٤:١٨). د
نم إن الإيمان بفناء العالم ، هو الذي يجعلنا نغلب العالم ، ونتنقي من العالم وما فيه .

إن الإيمان بالأبدية ، يعطي الإنسان يقظة في ضميره .

وهكذا يكون له باستمرار ضمير حي : يحكم علي كل عمل ، ليس فقط من جهة نجاحه أو فشله ، أو من جهة نتائجه في حياتنا الحالية . وإنما يحكم علي الأمور بمنظار الأبدية . لأن كل تصرف يتصرفه ، له داخله في مصيره الأدبي ، وبرما في مصائر الناس . فكل خير يعمله محفوظ له في السماء . وكل خطأ يقترفه في حق الناس أو في حق نفسه ، سيعطي عنه حساباً في يوم الدين .

وأيضاً الإيمان بوجود الله أمامنا ، يمنح القلب أتضاعاً

يمنحه أتضاعاً في القلب ، واتضاعاً في التصرف . ويمنحه خشية وخشوعاً لأنه واقف أمام الله . مثلما قيل عن القديس بطرس ، إذ كان يصيد (بعد القيامة)إنه لما عرف أن الرب قد أتي (أئتزر بثوبه ، لأنه كان عرنياً)
(يو٢١:٧).
في حضرة الرب يقف كل إنسان في خشوع . وبقدر إحساسه بوجود الله ، علي هذا القدر يكون خشوعه . وهكذا يختلف الناس في شعورهم أثناء الصلاة ، فمنهم من يركع ومن يسجد ، أمام عظمة الله غير المحدودة . أما الذي يكون جالساً أثناء الصلاة ، فماذا أقول عنه ؟.

والإحساس الدائم بوجود الله – حتي في غير وقت الصلاة – يجعل الإنسان في اتضاع دائم ، لأن العظمة هي الله وحده . وتعاظم الإنسان عمل ضد الإيمان ...

لذلك فنحن نري الملائكة القديسين في هذا الخشوع الدائم .

يقول الكتاب عن ظغمة السارفيم (لكل واحد ستة اجنحة : باثنين يغطي وجهه ، وباثنين يغطي رجليه ، وباثنين يطير)(أش٦:٢). فإن كان الملاك السارافي ، يغطي وجهه ورجليه في حضرة الله ، من بهاء عظمة الله ، فماذا نقول نحن ؟ وكيف ينبغي أن نكون خاشعين وفي أتضاع قدامه ...
إلي هذه الدرجة نري الإيمان ينقي القلب ، ويمنحه خشية وحياء واتضاعاً ...
فالذي يؤمن بأهمية الله بالنسبة إليه ، يخشي من اقتراب الخطية ، لأنها انفصال عن الله . وما أخط أن ينفصل إنسان عن الله .

أما الذي لا يؤمن بخطورة الخطية ، وبخطورة نتائجها الروحية ، فإنه يتساهل معها ويسقط ،

ويفقد نقاوته . أنظر مدي شعور داود بخطورة الخطية حينما قال الرب (لك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت)(مز٥١).وانظروا إلي يوسف الصديق ، إذ يؤمن أنه حينما يخطئ إلي أحد ، إنما (يخطئ إلي الله)(تك٣٩:٩).
كل هذه المشاعر الإيمانية إما إنها تجعل الإنسان يمتنع عن الخطية مثل يوسف أو ينسحق بعدها مثل داود . وكلا الأمرين من علامات نقاوة القلب .

الفصل السادس

بساطة الإيمان ، كثير من المفكرين يشتهونها ولا يجدونها .

مر أحد الفلاسفة علي فلاح بسيط ، يصلي في حرارة شديدة وهو ساجد في خشوع ، يكلم الله بلجاجة ودالة ، كأنه واقف أمامه .. فقال : أنا مستعد أن أتنازل عن كل فلسفتي ، مقابل أن أحصل علي شئ من إيمان هذا الرجل البسيط ، الذي يكلم من لا يراه ، بكل هذه الثقة ...

لقد شعر الفيلسوف بأن هذا الرجل البسيط ، يمتلك شيئاً ثميناً لم يستطع هو بكل فلسفته أن يحصل عليه .. وهو الإيمان .

بساطة الإيمان (تصدق كل شئ) يختص بالله ، ويقبله لا فحص وبلا جدال .. أعني ذلك الجدال الذي يشتهر به العقلانيون ...

وهذه البساطة تذكرنا بإيمان الأطفال ، الذين يؤمنون بكل الحقائق اللاهوتية والروحية ، في ثقة كاملة لا تشك ولا تكذب ، ولا تقدم أي أعتراض من العقل . ولعل هذا من الأسباب التي دعت السيد المسيح يقول لتلاميذه (إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات)(مت١٨:٣). قد يكون إيمان الطفل أكثر براءة وبساطة وصدقاً . إيمان حقيقي لا شك فيه . ليت إيمانك يكون قوياً ، كإيمان طفل .

أنا لست أوافق الذين يقولون إن الأطفال غير مؤمنين ...

هوذا بولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس (إنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحمكك للخلاص ، بالإيمان في المسيح يسوع المسيح)(٢تي٣:١٥). وما أعظم أمتداح الرب للطفل الذي أممه وسط تلاميذه (مت١٧: ٢،٣).

الذي يسلك في بساطة الإيمان ، يعيش بعيداً عن تعقيدات العقل .

ويعيش بعيداً عما يقدمه العقل من شكوك وأفكار ، وربما من أضاليل . حقاً إن العقل من الله . ولكنها كثيراً ما تضل إن تعدت عن الإيمان .

الإيمان هو نوع من التجلي ، يقدمه الله للعقل لكي يستنير .

وإن وقف العقل وحده ، فإنه يتعب صاحبه بإفكاره .. لو كان الصبي داود يعتمد علي عقله وفكره لخاف من جليات مثلما شاول وكل الجيش ولكنه أعتمد علي الإيمان البسيط ، الذي قال به جليات (اليوم يحسبك الرب في يدي)(١صم١٧:٤٦). ولكن كيف يحسبه الرب في يده ؟ هذا شئ لم يفكر فيه داود ، وإنما تركه إلي الله نفسه ، لأن الحرب للرب ما قال (١صم١٧:٤٦). هذا هو الإيمان . وبه انتصر داود أكثر من الذين كانوا يستخدمون العقل ميزاناً للأمور .....

في الإيمان البسيط ، المسألة ليست تفكير ، إنما مسألة ثقة .

وحتى إن قال العقل إن الحرب لابد أن تبحث ما مدي توازن القوي في القتال ، وكيف تتفوق إحداها ؟ فالإجابة بسيطة : هي أن الله إذا دخل المعركة فإنه سيغير الفكرة البشرية عن ميزان القوي ، فيصبح الطفل داود ومعه قوة الله أقوي بكثير من جليات الجبار بدون هذه القوة . وهنا نري أن الإيمان – مع بساطته لا يتعارض من العقل وموازينه .....

الذي يحيا بالإيمان البسيط ، يعيش بلا هم .

لأن الهم غالباً ما يأتي نتيجة التفكير الكثير ، الذي يفكر في المشاكل بطريقة عقلانية . ولكن في بساطة الإيمان يعمل الإنسان ما يستطيعه ، ويترك العنصر الأهم لله نفسه ، ولا يحمل هماً . وإيقانه بأن الله يعمل ، يعطيه سلاماً في القلب ، ولا يسمح للهم بالسيطرة علي مشاعره .

الذي له الإيمان البسيط لا يحمل هماً ، لأنه قد ترك تدبير أموره إلي الله . وإذ وثق بحسن تدبير الله لحياته ، صار لا يهتم بالغد ، لأن إله الغد هو المهتم به . وكل ما يحدث له في حياته يتلقاه بعبارة (كله للخير)
(كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله)(رو٨:٢٨).
اما الذي يضع تفكيره مكان التدبير لإلهي ، فإنه يتعب كثيراً ويحمل همومه بدلاً من ان يحملها الله عنه

كذلك مما ينزع الهم ، ثقة الإيمان البسيط باستجابة صلاته .

ولعلك جميعكم تعرفون قصة تلك البلدة التي أتعبها الجفاف لعدم سقوط المطر فقر أهلها إقامة يوم للصلاة من أجل ان يسقط الله مطر علي الأرض . وذهب الكل لكي يصلوا . ولكن طفلة ذهبت وهي تحمل معها مظلة
(شمسية) فلما سألوها عن ذلك ، قالت : أسنا سنصلي من أجل المطر؟ ماذا نفعل إذن ، حينما يستجيب صلاتنا ويسقط المطر ، وليست معنا شمسيات ؟! لقد كان لها الإيمان باستجابه الصلاة . ومن أجل إيمانها انزل الله المطر .

هذا الإيمان البسيط ، له قوته بالنسبة إلي المعجزات والرؤي .

لقد حدث المعجزة بالنسبة إلي شخص ، ولا تحدث بالنسبة إلي شخص آخر لأن الأول في بساطة الإيمان يصدقها ويقبلها . أما الآخر فإن الصعوبات التي يقدمها عقله ، تجعله يشك في داخله من جهة إمكانية حدوثها .
ونفس الوضع يحدث بالنسبة للرؤي . البعض يري المناظر الإلهية والإستعلانات ببساطة إيمان . والبعض لا يراها بتعقيدات عقله . والأمر واضح جداً كما حدث في ظهور السيدة العذراء بكنيستها في الزيتون بالقاهرة .

العقل يحاول ان يحلل كل شئ علمياً ، وإلا فإنه لا يصدق . بينما الإيمان يحتاج إلي تصديق ، في بساطة بعيدة عن تعقيدات العقل ...

لذلك فالمعجزات والرؤي تحدث بالأكثر مع البسطاء . أما (العقلاء كثيراً). الذين ينكرونها ويستهزئون بمصدقيها ، فإنها لا تحدث لهم إلا نادراً ، لكيما تجذبهم إلي الإيمان ، أو لتكون شاهداً عليهم (يو١٥:٢٢).
أن اليهود لم يصدقوا حتي معجزة منح البصر للمولود أعمي ، وقالوا له إن الذي شفاه رجل خاطئ !!(يو٩:٢٤). كان العقل يضع أمامهم مشكلة الشفاء في يوم السبت ، لكي يضيع بها إيمانهم (يو٩:١٦).

لذلك حسناً قال السيد المسيح عن هؤلاء وأمثالهم ، وممجداً للبسطاء (**أحمدك أيها الآب .. لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء . وأعلنتها للأطفال)(مت١١:٢٥).**

حقاً هؤلاء الأطفال يقصد بهم البسطاء في إيمانهم . أما هؤلاء الحكماء والفهماء في هذه الآية ، فهم المعتزون بإدراكهم وفهمهم ، والمعتمدون علي عقلهم وحده بعيداً عن الإيمان . حتي أن بعض الروحيين أمسك رأسه بين يديه وقال (أن هذه هي الثمرة التي أكل منها آدم وحواء)..يقصد المعرفة البعيدة عن الله .....

في إحدي الليالي ، قبل رهبنتي ، كنت راجعاً من زيارة أحد الآباء في الجبل . وكان الظلام قد أنتشر فقيل لي
(لا ترجع وحدك إلي الدير لئلا تضل الطريق) وكنت أعرف الطريق جيداً . وأؤمن بإرشاد الله فيه ، ومع ذلك قلت (إن ضللت طريقي ، سأبيت في الصحراء حتي الصباح . وكنت مؤمناً من أعماق بستر الله في هذا ، وبخاصة لأن كثيراً من الأعراب يبيتون في الصحراء بلا خوف ، ولكن قيل لي أنك بسيط أزيد مما يجب ، ولا تعرف الجبل . لأن الجبل مملوء بالحشرات والدبيب ، وهناك خطر

الوحوش أيضاً ، وأخطار أخري من جهة الجو ... وظل (العقل). ينصب في أذني ، ليزيل مـــا فـــي قلبي من بساطة الإيمان . ورجعت ليلتها إلي الدير مع أحد الآباء . ولم يعطني (العقل) وقتذاك فرصة أختبر فيها عمل الله مع السائرين ليلاً في الصحاء ، ولا حتي اختبار الإعرابي الذي يبيت كل ليلة هناك ، وتبيت معه عناية الله وستره .....

أشكر الله انني عوضت ذلك فيما بعد حينما سكنت في الجبل وحدي .

إن العقل يمكنه يصور خطورة في كل مكان . وفي نفس الوقت لا يعطي مجالاً للتفكير في عمل الله . وعلي العكس يطرح غير المؤمن في عقدة الخوف .

ليس معني هذا أن يلقي الإنسان بنفسه في التهلكة ، بلا حكمة . وإنما إذا أحترس بقدر طاقته ، ثم وجد فيما يسمونه خطراً ، فحينئذ بكل بساطة يثق في حفظ الله وستره . ويغني مع داود النبي (يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات . وأما أنت فلا يقتربون إليك)(مز ٩١).

الإيمان البسيط يثق بأن يد الله تتدخل للإنقاذ ولحل كل مشكلة .

هو يثق تماماً أن الله كمحب للبشر ، وكصانع للخيرات ، لابد سيتدخل في المشكلة – حســـب وعـــوده لأولاده – وتمتد يده لحلها .

أما كيف يحدث هذا ؟ فهذا ما لا يسأل عنه الإيمان البسيط .

إنه يتقبل عمل النعمة في بساطة ، دون أن يفحص كيف تعمل .

وكم من مرة حاولنا أن نحل مشاكلنا بطرق بشرية . ثم فشلت هذه الطرق جميعها . ولم تأت بنتيجة . وكانت بصمات الله واضحة ، فوق كل فكر .

الإيمان البسيط يثق بعمل الله ، عقيدياً ، وعن طريق الخبرة .

إيمان يدخل الإنسان في دائرة الإختبارات . والإختبارات تعمق الإيمان وتنبيه علي أسس واقعية وليس علي مجرد أسس نظرية. والإيمان والإختبار يقولون بعضهما بعضاً . حتي يصل الإنسان إلي يقين بديهي وهو بساطة الإيمان .

الإيمان البسيط يثق أن كل شئ مستطاع ، وليس هناك مستحيل .

إنه يوقن تماماً أن الله قادر علي كل شئ ، ولا يعسر عليه أمر (أي٢:٤٢). مهما كان صعب الفهم أو صعب الحدوث . إنه بقول الرب (غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله (لو١٨:٢٧).

وأنا لا تدهشني عبارة (كل شئ مستطاع عند الله) إنما تذهلني عبارة (كل شئ مستطاع للمؤمن)(مر٩:٢٣).

وهكذا فإن الإيمان البسيط الموقن بهذا ، يرتفع فوق كل الشكوك .

إنه إيمان قوق ، أقوي من كل شط . لأن الشكوك هي من عمل العقل ، والعقل معتز بمقاييسه . أما المؤمن اجتاز مرحلة العقل ، وعاش في مجال ا'لي منها وأعمق . فأعلي من الشكوك توجد بساطة الإيمان .

مشكلة الدين ، أن البعض يحاول أحياناً أن يحوله إلي فلسفه ، وإن يخرجه من القلب ، ومن الروح ليحصره في نطاق العقل .

وهذا هو الأمر الذي حاربه القديس بولس الرسول بكل قوته ،فقال إن كرازته كانت (لا بحكمة كلام ، لئلا يتعطل صليب المسيح)(١كو١: ١٧– ٢٠).

يقيناً أن المؤمن البسيط، الذي يكتنز إيمانه في أعماقه، فوق مستوي الفحص هو أقوي إيماناً

من بعض علماء اللاهوت ، الذين يستمدون إيمانهم من الكتب التي يظنون أن اهم فيها حياة .. وقد يكون أيماناً يمكن أن تزعزعه أفكار عقلية مضادة ...

درب نفسك علي حياة الإيمان البسيط . وانتفع بما مر في حياتك أو حياة غيرك من خبرات . ولا تجعل كثرة التفكير تبعدك عن الإيمان !

الفصل السابع

طاعة الإيمان

أو حياة التسليم

إن الذي يؤمن بمحبة الله له ، وسهره علي راحته ، وبحكمة الله وحسن تدبيره لحياته ، وبأن الله صانع الخيرات ، يعمل لأجله كل خير . هذا يمكنه أن يسلم حياته لله ، يديرها كيفما يشاء . بهذا الاقتناع يحيا باستمرار في طاعة الإيمان .

إنه يسلم حياته وهو مطمئن وسعيد .....

أما الذي لا يحيا في حياة التسليم ، فإنه علي عكس يعيش قلقاً علي حياته ويظل يفكر : ماذا أكون ؟ وكيف أكون ؟ ومتي أكون ؟ وهل ينبغي أن أغير ما أنا فيه ؟ وبأية وسيلة ؟ أم أظل كما أنا ؟ ويتعبه التفكير ، وغالباً ما يفقد سلامه ويظل في سعي مستمر ، ومناقشة الأمور مع نفسه ، إلي غير نهاية . ولا يفكر مطلقاً أن يستريح ، ويترك الأمر لله مثل رجل الإيمان .

الإنسان المؤمن عندما يسلم حياته ، لا يشترط عليه شروطاً ، ولا يطلب منه ضمانات ، ولا يراقب الله في عمله معه .

إنه واثق بالله كل الثقة ، في محبته ، وفي حكمته ، وفي قدرته . مؤمناً أن الله يعرف ما هو الخير له أكثر مما يعرف هو . لذلك يسلم حياته في يد ى الله ، وينساها هناك . وهكذا نراه لا يحمل هماً . مادام هو مؤمناً بعمل الله من أجله . لا يمكن أن يقلق ويهتم ، ولا يمكن أن يتعب نفسه بالتفكير . فالمؤمن يحيا في راحة ، أكثر من الذي يفكر لنفسه ويتعبه تفكيره ...

كثيرون لا يقبلون التسليم لله ، إلا إذا فشلت طرقهم البشرية !

منهجهم الأساسي هو الاعتماد على الذراع البشرى كل الاعتماد : إما اعتداداً بذهنهم وقدراتهم وحيلهم ، أو لتعودهم هذا الأسلوب ، أو لخطأ عقيدى عندهم ، أو اقتناعاً بأن الله لا يلجأ إليه الإنسان إلا في حالة العجز والفشل الكاملين ! حينئذ يأتون إلى الله ، لأنهم جربوا حيلة وكل وسيلة وما وصلوا إلى غايتهم ، ولأن فكرهم تعب وأنهك بلا فائدة . فلم يبق سوى الله !

ليس هذا هو الإيمان ، إنما هذا هو الإضطرار إلى الله .

الإيمان هو أن تلجأ إليه فى الصغائر ، كما تلجأ إليه فى الكبار .

قال السيد المسيح " بد ونى لا تقدرون أن تعلموا شيئاً " (يو ١٥ : ٥) . ذلك لأن كل طاقة لنا هي من عنده ... حتى الفكر الصائب ، وحتى مجرد الإرادة الطيبة ، وحتى القدرة على العمل . وذ كاؤنا هذا الذي نعتمد عليه ، هو أيضاً من عنده . وما أصدق قول الرسول " لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل تعلموا لأجل المسرة " (فى ٢ : ١٣) .

إن عملنا فى الواقع ، هو أن نشترك مع الله ، فى عمله لأجلنا .

وهذه هى شركتنا مع البيعة الإلهية ، شركتنا مع الروح القدس : نشترك مع الله فى العمل . كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زميله أبولس " نحن عاملان مع الله " (١كو٣ : ٩) . وكل عمل لا يشترك الله معنا فيه ، لا يكون عملاً مقدساً ، ولا عملاً مباركاً . وتسليمنا الإرادة لله ، هو نوع من الشركة معه ، نكون فيه كالآت طيعة بين يدية تعمل مشيئته . هو يسيرها كيفما يشاء . وهى تعمل بفكره وإرادته ، أو بتسليم إرادتها لإرادته ، كشركة الحواس مع المخ ...

إن أخطر ما يهدد الحياة الروحية ، هو استقلال الإنسان عن الله .

وهذه هى الخطية الكبرى التى وقع فيها شاول الملك فرفضه الله (١صم ١٦) . كان يعمل بفكره وبتدبيره ، بعيداً عن مشورة الله وعن شركته . ولا يرى أنه محتاج إلى أن يشترك الله معه في العمل . وكأنه يقول : مادمت أستطيع أن أعمل هذا العمل ، فسأعمله ، بكل قوة ، وبكل سرعة ، وحتى بدون صلاة ... لأن إرادتى وحدها هى التى سوف تعمله ... ! وبدون اعتماد على الله . وإن فشلت ، ألجأ إليه ! مادام الله قد وهبنى عقلاً وإرادة ، فلماذا لا أستخدمهما ؟! ... وكثيرون مثل شاول ...

الله قد وهب البشرية العقل والإرادة . ولكن ليس لتستقل عنه !

وليس لكى تعتد بذاتها . فالكتاب يقول " وعلى فهمك لا تعتمد " (أم ٣ : ٥) . ولنتذكر أن خطيئة الإنسان الأول ، كانت محاولته الحصول على المعرفة بعيداً عن الله (تك ٣) ومتى بدأ الإنسان يقول " أنا أعرف ، وأنا أقدر ، فما الحاجة فى هذا الأمر إلى الله ؟! " يكون حينئذ قد بعد عن الإيمان بالله بالأنا (الذات) ال Ego ...

أما المؤمن فلا يكتفى بالاعتماد على الله ، بل يسلمه كل شئ ...

ويقول له :حياتى هى صنع يديك ، وهى الآن بين يديك ، إفعل بها ما تشاء . حيثما تسيرنى أسير ، وكيفما تصيرنى أصير . أنا ليست لى إرادة خاصة ، فإرادتى الوحيدة هى أن أصنع إرادتك ، وأن أتحد بإرادتك ، فأريد ما تريده أنت ، أنت يا صانع الخيرات ... لست أقول عن شئ إننى أعرف . فكل معرفة الإنسان هى جهالة عند الله (١كو ١ : ٢٠) . المعرفة الحقيقية هى من عندك يارب وحدك . أنت هو الحكمة (١كو ١ : ٢٤) . أنت " المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم " (كو٢ : ٣) .

ولأننى أعترف أننى لا أعرف لذلك سلمت حياتى فى يديك.

أنت تعرف الخير أكثر مما أعرفه . وأنت تعرف الخير لى أكثر مما أعرفه لنفسى . وأنا واثق بحكمتك وبحسن تدبيرك لحياتى . حتى إن شئت لى التجربة أو الضيقة ، فأنا أقبلها باعتبار أنها خير خالص هو من يديك . ولولا ذلك ما كنت أنت المحب ترضاها لى . حقاً فى حالات كثيرة ، لا تعرف أين هو الخير !

إن حياة التسليم لا تعرف الشكوى ولا التذمر ، بل تقبل كل شىء برضى وفرح ...

مادمت يا أخى تثق بحكمة الله فى تدبيرك ، فلماذا إذن أنت تشكو أو تتذمر أو تتضجر . إذا دخل التذمر إلى حياتك ، فافحص نفسك جيداً ، لئلا يكون إيمانك قد ضعف وأنت لا تدرى .

الذى يحيا حياة الإيمان والتسليم ، يحيا دائماً فى فرح وفى شكر .

إنه لا يشكو بل يشكر ، الابتسامة لا تفارق شفتيه ، والبشاشة لا تفارق وجهه ، والفرح لا يفارق قلبه . إنه يؤمن بحكمة الله ومحبته . ويؤمن أن مشيئة الله دائماً صالحة ومفيدة . وهو يخضع لمشيئة الله فى فرح ...

لايخضع لمشيئة الله فى تغصب واضطرار. وكأن قلبه يقول لله : " ماذا أفعل يارب ؟ أنت هو القوى وأنا الضعيف . وكل ما تعمله أنا أقبله . وأنا منتظر نهاية هذا الأمر ... !! " . لا شك أن هذا كلام إنسان متعب فى داخله ، يتكلم بكلام تذمر فى أسلوب تسليم . وليس التسليم هكذا ...

إذن ما معنى " لتكن مشيئتك " فى حياة الإيمان وحياة التسليم ؟

الإنسان المؤمن يقول يقول فى رضى قلبى كامل : أنا يارب خاضع لمشيئتك ، لأنى أحب مشيئتك من أعماقى ، وأثق بك وبها . مشيئتك هذه أصلحت أفكارى ، وأصلحت أحكامى على بعض الأمور ، وعدلت مسارى وطريقى ... ما أجمل طرقك يارب " ما أبعد أحكامك عن الفحص ، وطرقك عن الاستقصاء " (رو١١ : ٣٣) . مشيئتك هذه هى أجمل أغنية فى فمى ، وأحلى الأخبار فى أذنى . فلتكن مشيئتك إذن ، لأنه لا توجد مشيئة أخرى أياً كانت أصلح منها . إلى جوارها أشعر بجهالة أية مشيئة تتعارض معها ، سواء كانت لى أو لغيرى ...

ليست حياة التسليم ، هى الخضوع لسياسة الأمر الواقع ، دون اقتناع !

وليست هى الخضوع لسياسة الضغط الإلهى (!) الذى يفرض سلطانه عليك فرضاً ! وأنت مضطر أن تخضع له سواء أردت أو لم تردد !! لا يا أخوتى ، ليس هذا هو معنى عبارة " لتكن مشيئتك " . فحياة التسليم تعلمنا أن نشعر بأن مشيئة الله هى الخير الكامل ، وهى أصلح ما يصلح لنا ، وهى سبب فرحتنا وبهجتنا ، ولهذا كان داود النبى يتغنى بأحكام الله . ويقول للرب : أحكامك هى درسى . أحكامك هى لذتى . أنا أتأمل أحكامك وأدرسها (مز١١٩) .

التسليم لله ينبغى أن يكون تسليماً حقيقياً ، وليس حسب الظاهر .

البعض يظن أنه يسلم حياته لله ، بينما يفرض على الله خططه !

كلما يتصرف الله فى حياته ، يحاول أن يستوقف الله ، ويقول له : إنتظر يارب لأرى ما أنت فاعل بى . لا يصلح هذا الأمر . إعمل كذا وكذا لأستريح . وهكذا يود أن يشتغل عند الله وزير تخطيط . هو يخطط ، والله ينفذ !! كلا ، ليس التسليم هكذا ، إنما هو أن تترك الله يعمل حسبما يشاء ، وترضى بما يعمل . ولا تقاوم خطط الله بتصرفاتك . لا تقاوم مشيئة بما تعمله حسب هواك ...

الإنسان المؤمن يترك التدبير الله . ولا يقبل أن يدبر نفسه بنفسه .

ماذا كانت خطية أبينا آدم سوى أنه بدأ يدبر نفسه : كيف يصل إلى المعرفة ؟ كيف يصير مثل الله ؟ كيف يكون نفسه ويبنيها ... وهكذا سقط .

وخطية الشيطان ، هى أنه بدأ يدبر نفسه ، ويبنيها ويكبرها حسب هواه !

" أصعد إلى السموات . أرفع كرسى فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات السحاب . أصير مثل العلى " (اش١٤ : ١٣ ، ١٤) . إنها خطط تشبه أحلام اليقظة ، رسمها الشيطان لنفسه " فانحدر إلى أسافل الجب " .

وبالمثل الذين بنوا برج بابل ، جلسوا يخططون لبناء أنفسهم ، ففشلوا .

قالوا " هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه فى السماء . ونصنع لأنفسنا إسماً لئلا نتبدد على وجه الأرض " (تك١١ : ٤) . فكان تخطيطهم ضدهم . وما خشوه ، هو الذى صاروا إليه " فبددهم الله على وجه كل الأرض " (تك١١ : ٩) . أما الإنسان الروحى فلا يفعل هكذا ، بل فى حياة التسليم يقول :

" إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً يتعب البناءون " (مز١٢٧ :١) .

الله هو الذى يبنينا وليس نحن . إذن نسلمه أنفسنا ليبنيها .

وهكذا نعيش فى راحة ، مطمئنين إلى عمل الله فينا ، وإلى نجاح عمله . نقف ونتأمل ، فنرى عجائب من تدبيره . واثقين أنه يعمل الخير ، مهما كان الذى يحدث أمامنا غريباً ، أو صعباً ، أو ضد ما كنا نرجوه .

ليس المهم أن نفهم ما يعمله الله . إنما المهم أننا بالإيمان والتسليم نتقبله .

والكتاب المقدس حافل بأمثلة التسليم فى حياة رجال الإيمان :

١ - أبونا إبراهيم مثلاً ، كانت بداية قصته مع الله ، هى قول الله له " أترك أهلك وعشيرتك وبيت أبيك ، إلى الأرض التى أريك " (تك١٢ :١) .

وأبونا إبراهيم لم يسأل لماذا ؟ ولا إلى أين ؟ بل أطاع ...

هذه هى حياة التسليم ، التى لا تجادل ولا تناقش ، بل تقبل وتطيع ، بلا تردد . تدع فهمها جانباً ، وتركز على أمر الله .

٢ - وهكذا كان نوح فى الفلك ، وكان يونان فى بطن الحوت ، وكان موسى فى البحر الأحمر ... فى حياة تسليم كامل .

إنها طاعة الإيمان . مادام الله يريد هذا ، فنحن لا نناقشه . وما هو عقلنا المحدود الضعيف ، حتى يناقش الله غير المحدود ، كلى الحكمة ...؟! إن موسى فى بدء إرساليته جادل الله فى كيف يدخل إلى فرعون (خر٣) ، ولكنه لما نما فى الإيمان والتسليم لم يجادل فى دخوله البحر الأحمر ...

٣ - القديسة العذراء مريم عاشت كمثال لحياة الطاعة والتسليم .

مع كل محبتها للبتولية ، قيل لها أن تخطب لرجل وتعيش معه فى بيت واحد ، فأطاعت . وأرسل لها الله ملاكاً يقول لها إنها ستحبل وتلد ، فقالت له " هوذا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك " (لو١ : ٣٨) ... ومع ولادتها لله الكلمة ، ورؤيتها كل ما أحاط بهذا الميلاد من معجزات ، قيل لها أن تهرب به إلى

مصر وتتغرب هناك ، فقبلت كل ذلك فى طاعة الإيمان . وفى تسليم أيضاً رجعت من مصر ، وقبلت أن تسكن فى الناصرة (متى٢ :٢٣) ، التى قيل إنها لا يخرج منها شئ صالح (يو١ :٤٦) . وكان شعارها فى حياة التسليم هذه ، عبارتها الخالدة "ليكن لى كقولك "

٤ - ولعل الإيمان والتسليم يظهران فى حياة الرسل فى طاعتهم التلقائية لقول الرب

"إتبعنى" أو "هلم ورائى "

هكذا قال الرب لمتى (لاوى) . وهو فى مكان الجباية (مر٢ :١٤) فلم يناقش وإنما " ترك كل شئ وقام وتبعه " (لو٥ : ٢٨) . ولم يفكر مطلقاً فى كل مسئولياته وعمله . وبالمثل لما دعا الرب بطرس وأندراوس وباقي الرسل ، يلخص القديس بطرس كل قصص هذه الدعوة بقوله للرب (تركنا كل شيء وتبعناك) (لو ١٨:٢٨) . أنها طاعة الإيمان التي تتبع الرب حيثما ذهب ، بلا سؤال ، بلا استفسار ، بلا تفكير في المستقبل.بل . وكما سنشرح أن كلاً منهم أطاع وهو لا يعلم إلي ين يذهب (عب ١١:٨)

ونحن كثيراً ما ندعي ، فنحاول أولاً أن نطمئن على مستقبلنا .

لذلك نسأل الكثير من الأسئلة . ونحصل على ما نستطيعه من الضمانات وبكل هذا تخرج من الإيمان إلي العيان ... إلي المستقبل الذي نراه بعيوننا ونطمئن إليه ، وليس إلي المجهول الذي نراه ، ونقبله بحياة التسليم والطاعة ...

٥- من أمثلة حياة الإيمان والتسليم والطاعة ، أرميا النبي

سار وراء الله بالإيمان ، في طرق لم يفكر مطلقاً أن يسير فيها ...وأخيراً لخص خبرته في حياة التسليم في عبارة عميقة قال فيها (عرفت يا رب أنه ليس للإنسان طريقة ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته) (أر ١٠:٢٣) . ولماذا لا يهدي خطواته ؟ لأن الله هو الذي يقود هذه الخطوات ويهديها ...

هذه هي حياة التسليم ، أن تسير وراء الله ، وليس وراء فكرك

تسير ليس وراء هواك ورغباتك ، وليس وراء مشيئة الناس أو مشورة الناس إنما وراء الله نفسه الذي يقود حياتك . يضعها في أي وضع وفي أي موضع ، حسب أعماق حكمته . فاسأل نفسك هل الله هو الذي يقود حياتك ؟ أم تقودها رغبة معينة ، هي التي تحدد تصرفاتك ومسير خطواتك ؟

٦- من الأمثلة العجيبة في حياة التسليم : يوسف الصديق

أظهر له الله بالرؤي أنه سيصير سيداً لأخوته ، وسيجدون له جميعهم (تك ٣٧:١٠) فماذا كان تحقيق الوعد ؟ أخذه إخوته وألقوه في بئر ليقتلوه . ثم باعوه كعبد . وسحبه المديانيون من البئر ليبيعوه للإسماعيليين (تك ٣٧:٢٨) . ثم بيع لفوطيفار ليخدم في بيته ...

وفي كل هذا لم يحتج يوسف متذمراً على الرب وعلى أحلامه ...

بل سكت . وسلم في هدوء لما سمح به الرب ، وسلك بكل أمانة وإخلاص وقبل الحياة كخادم ... ولكنه رضى بالبلوى ، والبلوى لم ترض به ! فإذا بتهمة باطلة رديئة تلفق ضده ، ويلقي به في السجن كفاعل أثم ... !

ولم يحدث أن يوسف سأل الرب لماذا ؟ ...أو أين هي وعودك ؟

سكت في مثل رائع لحياة التسليم وطاعة الإيمان . ولم يتذمر مطلقاً . وفي المرة الوحيدة التي خرج فيها قليلاً جداً عن حياة التسليم ، وقال لرئيس السقاه بعد أن فسر له حلمه (حينما يصير لك خير ، تصنع إلي أحساناً ، وتذكرني لفرعون ، وتخرجني من هذا البيت) (تك ٤٠:١٤) ... لما فعل هذا ، أجاب الوحي الإلهي على هذا الطلب بقوله (ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف، بل نسيه) (تك ٤٠:٢٣) ...

ولكن الله لم ينس يوسف ، الذي بقى في السجن في حياة التسليم ، حتى أخرجه الله منه بمجد عظيم ...

٧- ومن أمثلة حياة التسليم وطاعة الإيمان : داود النبي .

كان (يرعى الغنيمات القليلات في البرية) . وأرسل له الله صموئيل النبي ومسحه ملكاً . ولكنه لم يسلمه من الملك شيئاً ... وبقى يرعي الغنيمات القليلات ، دون أن يتذمر . ثم اختير خادماً للملك شاول المرفوض من الله الذي بغته روح ردئ من قبل الرب (١ صم ١٦: ١٤) ... ولم يحتج داود

لم يقل أنا الملك المختار من الله . فكيف أخدم هذا المرفوض ؟!

بل في حياة التسليم تقبل الوضع . وكان يهدئ شاول الملك حينما تبغته الشياطين ... وظل شاول يطارد داود ناقش الله ، أو قال له أين مواعيدك ؟ أين أستحق كل هذا ؟! ... بل انتظر ، في هدوء وفي تسليم ، خلاص الرب . وقد كان ...

٨- ومن أمثلة حياة التسليم : تلاميذ الرب

دعاهم الرب للخدمة كما قال لبطرس وأندراوس (هلما ورائي فأجعلكما صيادي الناس)(متى ٤: ١٩) ومرت ثلاث سنوات وهم يتبعونه ، دون أن يخدموا . ولم يصيدوا أحد . ثم صلب الرب . وخافوا ، وأغلقوا على أنفسهم في العلية لئلا يصيدهم اليهود ... ومع كل ذلك لم يشكوا . وبقوا في حياة الإيمان والتسليم . وأخيراً بعد حلول الروح القدس ، تمم الرب وعده . وفي يوم واحد تمكن بطرس بعظة واحدة من أن يصيد ثلاثة آلاف نفس ... ولو أنه كان كل يوم يصيد نفسين ، ما وصل إلي هذا الرقم كله ، ولكن حياة التسليم تقول للرسول : **. وانتظر الرب) (إنتظروا الرب . تقو وليتشدد قلبك**

(مز ٢٧: ١٤) نعم يا رب سأنتظر وعدك في صيد الناس . ولكن هل إلي ثلاث سنوات وأكثر ؟ أنه لكذلك . ولكن (ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الله في سلطانة وحده) (أع ١: ٨)

أن حياة التسليم لا تناقش الرب في مدى الانتظار الطويل لمواعيده

أنها لا تقول له لماذا يا رب تجعل بطرس ينتظر أكثر من ثلاث سنوات ليصير صياداً للناس ؟ ولماذا تترك إبراهيم ينتظر خمسة وعشرين عاماً حتى تحقق له وعدك في ميلاد أسحق ؟ ولماذا تترك داود في مذلته من شاول عشرات السنوات ، حتى تحقق له اختيارك له ملكاً ... ؟

إن حياة التسليم لا تشك ، وتري في الإنتظار حكمة إلهية .

فقد كان داود صبياً حين اختياره . وكان الإنتظار نافعاً له حتى يكبر وينضج ، وحتى يزداد الناس حباً له يوماً . كذلك كان الإنتظار نافعاً لبطرس حتى تكتمل تلميذته للرب ، وحتى يحبن موعد حلول الروح القدس لينال به قوة هو وسائر الرسل . كذلك كان الإنتظار نافعاً اسحق ، ليصير إبناً للموعد ...

٩- من أجمل الأمثلة فى حياة التسليم : تقديم اسحق محرقة .

لقد صبر ابرآم خمساً وعشرين سنة ، حتى ولد له اسحق ، إبنه المحبوب الذى أخذ المواعيد من أجله . وفرح به فرحاً لا يوصف . وكبر اسحق . وإذا بالرب يقول لأبينا إبراهيم " خذ إبنك وحيدك ، الذى تحبه ، إسحق ... وأصعده محرقة على أحد الجبال الذى أريك " (تك٢٢ :٢) ... أى قلب يمكنه أن يحتمل هذا ؟! وأى عقل يسمع هذا ولا يشك ... ؟!

ولكن ابانا إبراهيم فى حياة التسليم ، لم يناقش ، ولم يتردد فى التنفيذ . بل بكر صباحاً ، وأخذ إسحق ليذبحه ... ولم يحسب نفسه أحن من الله ... ولم يشك فى محبة الله ولا فى حكمته ... إن الطاعة لا تكون فى الأمور السهلة فقط ، وإنما تظهر فى قمة سموها فى الأمور التى تبدو صعبة جداً فى التنفيذ .

حياة التسليم تظهر فى الدخول من الباب الضيق والطريق الكرب .

مادمت أنت يا رب موافقاًعلى هذا الباب الضيق ، فإنه يكون أصلح الأبواب للدخول .. ولا نناقشك بل نفرح بذلك ، ونرى أنك تختبر به محبة أولادك ، ونقاوة قلوبهم ، وتعد به لهم أكاليل ملكوتك ...

وبهذا الإيمان ، استقبل الشهداء والمعترفون كل أنواع الآلام في فرح . وكل أولادك يـا رب كـانوا (يحسبونه كل فرح حينما يقعون في تجارب متنوعة) (يع ١:٢)

لا يعلم إلي أين يذهب

" بالإيمان ، إبراهيم لما دعى أطاع
فخرج وهو لا يعلم إلي أين يذهب
(عب١١:٨)

١- هكذا سار أبونا إبراهيم وراء الله ، إلى المجهول ... لم يكن يعلم إلى أين الطريق ، إنما كان واثقاً أن الله يصحبه فى الطريق ، ويرشد خطاه ...

٢- وهكذا حدث مع آبائنا الرسل الأطهار ، لما دعاهم الرب فتبعوه .

وهم لا يعلمون إلى أين ... إذ لم يكن للمسيح مقر معروف ، بل لم يكن له أين يسند رأسه (لو٩ :٥٨) .كان يطوف المدن والقرى يعلم ويشفى ، مع أنه لم تكن له وظيفة رسمية فى المجتمع اليهودى ... ولم يكن له دخل مالى معروف . وحتى لما دعا تلاميذه ، قال لهم " لا تحملوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم ... ولا تحملوا معكم شيئاً للطريق " (متى ١٠ :٩ ، مر ٦ : ٨) .
ولو سألت أحد تلاميذه وقتذاك : ما هو عملك ؟ وما هو مستقبلك مع المسيح ؟ لوقف وأوقفك معه ، أمام علامة استفهام كبيرة لا يعرف لها جواباً ، سوى حياة التسليم ... يكفيه أنه سائر مع المسيح ، مع أنه معه وفى وجوده لايعمل شيئاً ... المسيح يعمل كل شئ ، وتلاميذه مجرد متفرجين .

٣-٣-خذوا مثالاً لذلك القديس مار مرقس الرسول حينما دخل الإسكندرية :

دخلها وهو لا يعلم إلى أين يذهب ، إذ لم تكن هناك كنيسة يستقر فيها ، ولم يكن له هناك شعب ، ولا مسكن ... بل على العكس كانت الوثنية فى كل مكان ، وكانت اليهودية تقاوم الإيمان جاء مارمرقس إلى مصر ، وأرشد الله خطاه إلى إنيانوس ، وما كان فى فكره هذا الأمر ... وما حدث لمارمرقس ، حدث تقريباً لباقى الرسل . تتنوع الأمكنة والأسماء ، ولكن قلب الموضوع واحد . وكأن كل رسول كان يقول :

لو كانت الخدمة عملاً بشرياً ، لكان يهمنى أن أعرف خطية مسيرى . أما والخدمة عمل إلهى ، فلا يهمنى إلى أين أذهب . أنا مع الله . حيث قادنى أسير .

٤ - يوحنا المعمدان كان يرى أن واجبه هو أن يشهد للحق . فشهد للحق وقال لهيرودس الملك " لايحل لك " ولم يهتم بعد ذلك إلى أين يذهب : إلى السجن ، إلى الموت ... ليكن ما يكون . رسالة الله تتم فى طاعة إيمانية كاملة . أما الحياة ، وأما المصير ، فهما مسلمان الله ... إلى التمام . وهكذا كان بولس الرسول يشهد للرب ... وبعد ذلك لا يهمه إلى أين يذهب : "أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف " ، يقول فى ثقة بحياة التسليم " لكننا فى هذه جميعها ، يعظم انتصارنا بالذى أحبنا " (رو٨ : ٣٥، ٣٧) . بهذا الأسلوب ، سار أولاد الله جميعهم فى طريق الحياة فى حياة التسليم .

كل ما يهمهم هو أن الله يقودهم . ولكن لا يعنيهم إلى أين ... ولكنهم واثقون بالإيمان ، أنه سيقودهم إلى المراعى الخضراء ، وإلى ينابيع الماء الحى . خبرتهم مع الله تجعلهم مسرورين بقيادته ، واثقين بمحبته .

٥ - إسحق بن ابراهيم حمل الحطب وراء أبيه ، ولم يعلم إلى أين يذهب .

كل ما تعلمه فى حياته ، هو التسليم والطاعة ، وبهما سار حتى إلى المذبح . وربطه إبراهيم أبوه ووضعه على المذبح فوق الحطب (تك٢٢) ، ورفع عليه السكين . كل هذا وإسحق فى تسليم كامل . لم يشك فى محبة الله ... وانتصر على طول الخط . بتسليمه هذا ، كسب طاعة الإيمان ، وكسب حياته ، وكسب وعود الله ...

٦ - لعازر الدمشقى لما سافر ليختار زوجة لإسحق ، ما كان يعلم إلى أين يذهب .

ولكنه سلم خطاه لله ليرشده . ودبر الله له كل شئ بطريقة عجيبة وقف أمامها مذهولاً . وتم كل شئ حسبما طلب منه سيده ابراهيم . ولهذا قال " الرب أنجح طريقى " (تك ٢٤ : ٥٦) . ولعل لعازر الدمشقى كان يقول " لم أكن أعلم إلى أين أنا أذهب . لكنى كنت أعلم تماماً أن الله ذاهب معى " . ونفس الوضع تقريباً حدث ليعقوب فى رحلته إلى خاله لا بان . وما أجمل قول الرب له " هاأنا معك . أحفظك حيثما تذهب " (تك٢٨ :١٥) .

٧ - الشعب فى البرية ، أتراه كان يعلم إلى أين يذهب ؟!

ما كان يعلم شيئاً . كان الله يقوده يوماً بيوم . وكان يرتحل بإرشاد إلهى ، ويقف بإرشاد إلهى ، ويقف بإرشاد إلهى . وكان هذا الإرشاد يتمثل فى السحابة تظلله نهاراً ، وعمود النار يهديه ليلاً ... والشعب فى تسليم كامل لقيادة الله ، لا يسأله إلى أين ... ؟ وما كانت أمام موسى النبى خطة لمسيرة ، وكأنه يقول : **يكفينا يارب أن تكون سحابتك فوق رؤوسنا ، وعمود النار أمامنا .** نحن لا نحدد مسارنا ، إنما تحدده مشيئتك الصالحة . أما نحن فيسعدنا أننا تحت قيادتك . حيثما سارت سحابتك نسير . وحيثما حلت نستظل تحتها ... يفرحنا أننا نرى فوق تابوت العهد الضباب الذى يمثل وجودك . فلتتحرك خيمة الإجتماع فى البرية نحو المجهول . إنه مجهول بالنسبة إلينا . ولكنه فى علمك ومعرفتك منذ الأزل . وهذا يكفينا ، لكى نسلم خطانا لهذا المجهول ، ونحن فى ملء الثقة بأننا فى طريق كنعان

٨ - القديس الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان ، حينما دخل إلى الجبل ، أتراه كان يعلم إلى أين يذهب ؟! وكذلك القديس الأنبا بولا أول السواح ...

وأيضاً كل السواح والمتوحدين حينما توغلوا فى البرية الجوانية ، ما كان أمامهم **هدف مكانى معين يقصدونه . كل ما كان أمامهم هوالهدف الروحى وهو أن ينفردوا** بالله فى حياة السكون والهدوء ، مسلمين حياتهم بالكلية له " تائهين فى البرارى والجبال وشقوق الأرض " ... تسأل كل واحد من التائهين فى البرارى : أتعلم أين أنت ؟ فيجيبك :

على خريطة المكان ، لست أعلم أين أنا ...

ولكن على خريطة الحب ، أعلم أننى فى حضن الآب .

٩ - ولعل البعض يسأل : أما ينبغى أن يحسب كل إنسان حساب النفقة ، حسب وصية الرب نفسه (لو١٤ :٢٨) ؟ إن حياة الإيمان ، هى أبعد ما تكون عن علم الحساب الذى يقصدونه . إذن ما الذى يقصده الرب بأن يجلس الإنسان أولاً ويحسب النفقة ؟

حساب النفقة هو : هل عندك من الإيمان ما يكفى ؟

هل عندك من الإيمان ما تسلم به الأمر كله لله لكى يدبره ؟ إنك تفعل ما تستطيعه . ولكن هذا هو أقل المطلوب . أما العنصر الأساسى فهو إيمانك بما يفعله الله ، وتسليمك له كل الأمر ... وهذا كان منهجنا ، حينما كنا نريد أن نبنى كنيسة أو أى مشروع للخدمة والرعاية . لم يكن السؤال الأساسى هو " من أين التكاليف ؟" ، إنما كان السؤال الأساسى هو : هل الله موافق على هذا البناء أم لا ؟ فإن كان موافقاً فهو الذى سيقوم بكل تكاليفه . وما علينا إلا أن نبدأ ، ويد الله تكمل العمل معنا " وإن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً يتعب البناءون " (مز١٢٧ : ١) .

الإيمان هو أن تغمض عينيك، وتبصر الله .

طالما أنت تفتح عينيك ، فأنت تسير بالحواس الجسدية . أما إن أغمضت هذه العين الجسدانية ، حينئذ سوف تسلك بالقلب والروح . إن تأكدت بحواسك الروحية أن الله سيذهب معك فى طريق سر فيه ولو كان فى وادى ظل الموت . يقنياً هناك سوف لا تخاف شراً لأن الرب معك (مز٢٣) .

١٠- هذه هى حياة التسليم، التى فيها يختار الرب لنا ما نشاء، دون أن نختار نحن لأنفسنا .

آخذين درساً من قصة لوط وإبراهيم .

لوط اختار لنفسه السكنى فى سادوم ، الأرض المعشبة (تك١٤ :١٠ ،١١) . وكان يعلم إلى أين يذهب . أما إبراهيم فلم يختر لنفسه شيئاً . إنما قال له الرب " إرفع عينيك وانظر ... جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها " (تك ١٠ : ١٤ ،١٥) ... وماذا كانت النتيجة ؟ لوط سبى وهو فى سادوم وأنقذه إبراهيم (تك ١٤) . ثم احترق كل ماله فى سادوم وخسر الكل ... وهكذا كانت حياة التسليم التى لإبراهيم ذات نتيجة أفضل ...

الفصل الثامن

مايقوى الإيمان

الإيمان فضيلة كسائر الفضائل ، يمكن أن تقوى أن تضعف . وعلينا نحن ، ليس فقط أن تحفظ إيماننا ، وإنما أيضاً أن نسلك فى كل الوسائل التى تجعله ينمو ويزداد (٢ تس ١ : ٣ ، ٢كو ٨: ٧) . فما هى الوسائل التى تقوى إيماننا ؟ إنها :

١ ـ الثقة بصفات الله :

أ – ضع فى قلبك باستمرار ، أن الله صانع الخيرات ، وذلك لكي تقوي إيمانك برعايته وحفظه . قل لنفسك باستمرار (كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الله) (رو ٢٨:٨) . وثق أن كل ما يصنعه الله هو خير ، وأن كل ما يسمح به لابد يؤول إلي خير ، مهما بدا الأمر غير هذا .

لقد كان الله يصنع خيرا مع يوسف ، حينما سمح أن يباع كعبد ، وأن يلقي في السجن ظلماً . وكانت كل تلك الضيقات ضمن الخطة الإلهية لخير يوسف ، ولخير المنطقة كلها . وهكذا قال يوسف لأخوته الذين باعوه (لستم أنتم أرسلتموني إلي هنا ، بل الله) (تك ٨:٤٥) ، (أنتم قصدتم لي شراً . أما الله فقصد به خيراً (تك ٢٠:٥٠)

ب– ثق أيضاً أن الله أب ، وأنه محب ، وأنه في محبته ، لابد أن يعامل أولاده بحنان ، ويعطيهم عطايا صالحة . وقد قال في أبوته الحانية أنه نقشنا على كفه (أش ١٦:٤٩) وفي أبوته يعطينا كل ما نحتاجه ، دون أن نطلب .

جـ – مما يقوي إيمانك أيضاً ، أن تثق بأن الله قادر على كل شيء . هو يحبك . وهو يريد لك الخير ، وهو قادر على صنع هذا كله ، مهما كان الأمر صعباً ...

إن أبانا إبراهيم ، حينما رفع يده بالسكين ليذبح إبنه وحيده أسحق ، كان مؤمناً بأن الله محب ، وأنه لابد من وراء ذلك خيراً . وكان مؤمناً كل الإيمان بأنه سيكون له نسل من أسحق كنجوم السماء حسب وعد الله له ...

نعم كان مؤمناً أنه حتى لو مات أسحق ، فإن الله قادر أن يقيمه من الأموات ، ويحقق به وعده (إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً) (عب ١٩:١١) . هذا هو الله الذي آمن به ، الذي يحيي الموتى ، ويدعو الأشياء غير بالإيمان كأنها موجودة) (رو ١٧:٤)

بالإيمان بقدرة الله على كل شيء ، دخل موسى في البحر الأحمر وعبره . ودخل يشوع في نهر الأردن وعبره ، كل منهما مع شعبه ...

يحدد بمقدار حرف– كذلك ينبغي أن تثق بحكمة الله ، وبأن كل تدابيره صالحة ، حتى لو كنت لم تفهم بعد أعماق هذه الحكمة ...

إن أمنت بحكمة الله ، تعيش في سلام ، وتقبل كل شيء برضى . أما إن كانت (حكمتك) البشرية لا تثق بحكمة الله ، ستعيش في تذمر وشكوى وتعب نفسي ... لذلك في كل ما يحدث لك ، قل له : أنا واثق يا رب بحكمتك وحسن تدبيرك . وإن كان فهمي الآن عاجزاً ، لأبد أنني سأعرف بعد حين ما قصدته بي ، كما عرف يوسف الصديق .

إن ثقتك بأن الله صانع الخيرات ، وأنه أب محب ، وحكيم في تدابيره ، ويريد لك الخير وقادر على ذلك ... كل هذا يعمق إيمانك ، ويمنحك سلاماً في قلبك ...

هناك وسيلة أخرى لتقوية الإيمان وهي :

٢– الثقة في صدق مواعيد الله :

لقد وعد الله أبانا ابرام بأنه سوف يعطيه نسلا ، وأعطاه ولو بعد زمن . ووعده بأن نسله سيكون كنجوم السماء في الكثرة ، وقد كان ... مع أن زوجته كانت عاقراً ، وكان هو قد تقدم في الأيام وشاخ .

ووعد الله شعبه بأنه سيرده من السبى . ورده كما وعد .
ووعد إيليا وقت المجاعة ، بأنه سيعوله . وعاله بأعجوبة (١ مل ١٧: ٣ ـ ٦) . ووعد الله أمنا حواء بأن نسلها سيسحق رأس الحية (تك ٣:١٥) . وقد حقق هذا الوعد على الصليب في ملء الزمان .
ووعد الله بأنه سيسكب روحه على كل بشر (يؤئيل ٢:٢٨) . وفعل ذلك في يوم الخمسين ، وما زلنا هياكل لروحه القدوس (١كو ٣:١٦) ...
وعود الله كلها صادقة . ويعوزنا أن نتتبع وعود الله منذ القديم .

ولكن هناك وعوداً دائمة ، يريحنا أن نحيا فيها بالإيمان .

وذلك كقوله (ها أنا معكم كل الأيام وإلي أنقضاء الدهر) (متى ٢٨: ٢٠) ، حيثما اجتمع أثنان أو ثلاثة باسمي ، فهناك أكون في وسطهم (متى ١٨:٢٠) ، (أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها) (لو ٢١:١٥) (لا تهتموا كيف أو بما يتكلمون ، لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به . لأنكم لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (متى ١٠ : ١٩ ، ٢٠) . وكذلك قوله عن الكنيسة إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦ : ١٨) . ليتنا نعيش فى هذه الوعود بكل قلوبنا ، لكى تقوى إيماننا .

وليتك : أيها القارئ المحبوب تجمع كل وعود الله وتقرأها باستمرار . وتقول لنفسك : لابد أن يكون الله صادقاً فى وعوده . وبالتالى لابد أن أعيش سعيداً بهذه الوعود الإلهية ... إن دوام التذكار لوعود الله ، يطمئن النفس ، ويقوى الإيمان ... وأيضاً مما يقوى الإيمان :

٣ - النظر إلى الله ، وليس إلى الظروف المحيطة :

قبيل عبور البحر الأحمر ، كل الظروف المحيطة كانت تدعو إلى اليأس . أما موسى النبى فإنه دعا الناس أن ينظروا إلى الله ، وقال لهم " قفوا وانظروا خلاص الرب ... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) . كذلك فى حرب داود وجليات . لو نظر إلى الجبار القوى المتحدى ، ليئس . لكنه بالإيمان نظر إلى الله الذى سيحبسه فى يده (١صم ١٧) . نفس الوضع فى معجزة الخمس خبزات والسمكتين . لما نظر التلاميذ إلى الطعام الموجود ، والآلاف المنتظرة ، قالوا " ما هذا لمثل هؤلاء ؟! " . ولكن المسيح نظر إلى فوق وبارك . ولو نظر التلاميذ هكذا بالإيمان إلى فوق ، لا طمأنوا ورأوا قوة الله . مرثا نظرت إلى قبر أخيها الميت منذ أربعة أيام ، فقال قد أنتن . أما الرب فقال لها : ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله (يو١١ :٣٩ ، ٤٠) .

إذن علينا أن ننظر دائماً إلى فوق ، فيدخل الإيمان إلى قلوبنا .

ننظر إلى الله المحب القادر على كل شئ ، ولا نركز أفكارنا فى الظروف المحيطة . لاتنظر إلى قوة أعدائك ، إنما أنظر إلى الله الذى ينقذك منهم . لا تنظر إلى الخطية التى " طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء " (أم ٧ : ٢٦) ، إنما أنظر إلى الرب يسوع الذى " يخلص شعبه من خطاياهم " (متى ١ :٢١) . كذلك من الأمور التى تقوى الإيمان :

٤ – قصص الإيمان ، ومعاشرة رجال الإيمان :

وهكذا عندما أراد الله أن يعطى دروساً فى الإيمان ، قال " تأملوا زنابق الحقل ... ولا سليمان فى مجده كان يلبس كواحدة منها " (متى ٦ : ٢٨ ، ٢٩) . فإن كان عشب الحقل ... " يلبسه الله هكذا " " أفليس بالحرى يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان " . وقال أيضاً " أنظروا إلى طيور السماء " . وفى إحدى المرات ،

فعلت كما أمر الرب ، ونظرت إلى عصفورة فى حقل الدير ... أمامها الكثير من الحبوب . ولكنها التقطت اثنتين أو ثلاثاً ، وتركت الباقى كله وطارت " لم تجمع إلى مخازن " كما قال الرب ، كانت واثقة أنها فى كل مكان تحل فيه ، سيرزقها الله قوتها ، فلماذا تخزن إذن ؟ أو لماذا تترك الجو العالى الفسيح ، وتقبع إلى جوار الحبوب لتخزن كما تفعل زميلتها النملة (القليلة الإيمان !) التى لا ترتفع إلى فوق ...

وقد أعطانا الرب مثالاً شبيهاً فى قصة (المن) وجمعه .

كانوا يجمعونه ، على قدر حاجتهم ، يوماً بيوم ، دون أن يخزنوا ... والذين خالفوا هذه القاعدة وخزنوا مناً " تولد فيه الدود وأنتن " (خر ١٦ : ٢٠) . كلما يقرأ الإنسان قصصاً عن الإيمان ، والثقة بالله ، والأعاجيب التى تحدث مع قديسيه ، يمتلئ قلبه إيماناً ، ويحب هذه الحياة المملوءة إيماناً ... كذلك كلما يعاشر رجال الإيمان ، يتعلم منهم ، وتثيره حياتهم وعمل الله معهم ، لكى يتمثل بإيمانهم " (عب ١١ : ٧) . لذلك قال أحد الآباء " شهية هى أخبار القديسين " ...

من أجل هذا سجل لنا الكتاب سيراً من الإيمان ، لنتأثر بها ونتعلم .

ولكى تقوى إيماننا ، إذ نرى أمامنا أمثلة عملية لحياة الإيمان التى نشتهيها . ونرى أمامنا الطريق الذى سلكه رجال الإيمان . وكيف عاملهم الله ، وكيف تعاملوا هم معه ... وماذا أيضاً ؟

إن كانت القراءة ، فإن المعاشرة تأثيرها أعمق بلا شك .

لذلك عاشروا الذين يتصفون بالإيمان ، وامتصوا الإيمان منهم . فإن الإيمان يناله الإنسان بالتسليم ، أكثر مما يناله بالتعليم . أنظروا كيف يعيشون ، وكيف يظهر الإيمان فى حياتهم ، وكيف يتعاملون مع الله، وكيف يتصرفون إذاء الأحداث... وإن أردتم أن تقووا إيمانكم ، لابد من صفة تتصفون بها وهى :

٥ - إتضاع القلب والفكر :

الإنسان المتضع يقبل كل ما ياتى من الله برضى . أما الفكر المعتد بذاته فإن يناقش ويجادل ، ويرفض ما لا يعجبه ، فلا يصل إلى الإيمان الذى يصل إليه المتضع .

الإنسان المتضع يعترف أن عقله محدود ، وكل قدراته محدودة ، ولا يمكنه أن يستوعب الله غير المحدود ، ولا يدرك أعماق حكمته وصفاته . لذلك يقبل فى إيمان ولا يشك . وإن ضغط عله الفكر ، ينسكب أمام الله ويقول " أحكامك يارب فوق فهمى ، وأعمالك فوق معرفتى . من أنا قدامك ؟ وكل معرفتى هى جهالة أمامك .

أنا آخذ منك عن طريق التسليم ، وليس عن طريق الفحص ...

أعطينى يارب إيمان الأطفال ، وليس إيمان الفلاسفة والحكماء (لو ١٠ : ٢١) . حادثة مثل إلقاء الثلاثة فتية فى أتون النار ، دون أن يحترقوا (دا ٣ : ٢٥) . هذه ، هل نخضعها لفهمنا المحدود ، أم نتقبلها بالإيمان فى اتضاع الفكر الذى ينحنى أمام المعجزة ؟! والمعجزة هى عمل الله القادر على كل شئ ... الإيمان يحتاج إلى اتضاع الفكر وبساطة القلب ، وأيضاً إلى :

٦ - الخبرة مع الله:

إلق نفسك فى دائرة الله . عش معه واختبره . جرب الإتكال عليه . حينئذ سترى عجائب من عمله معك . أما إن كنت طول حياتك تحصر نفسك فى دائرة إمكانيات الفكر ، والذكاء البشرى ، وخبرات المجتمع ، ومشورات الناس ، بعيداً عن الله ، تأكل كل يوم من شجرة معرفة الخير والشر ، فكيف

تصل إذن إلى الإيمان ؟! إذن إختبر عملياً وجود الله فى حياتك . عاشره لتعرف من هو . وكما قال داود النبى " ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب " (مز ٣٤ : ٨) . ولعل سائلاً يسأل : وكيف ندخل فى الخبرة مع الله ؟ أقول :

٧ - إبصرالله فى كل أمر :

الناس لايقوى إيمانهم ، لأنهم يعيشون فى عالم ، فصلوه عن الله .

كل ما يحدث فى هذا العالم ، يرجعونه إلى أسباب عديدة ولا يذكرون إسم الله كأنما الكون يدور ... بدون الله .

أ - مثال : العالم يستطيع أن يحطم الذرة ، ويستخدم القوة النووية ، ويصنع سفن الفضاء ، ويصل إلى القمر ، ويدور حول الكون ، ويتعامل مع الإلكترونات ... ويصرخ الناس ويقولون : ما أعظم العقل البشرى ! أو ما أعظم الشعب الذى اخترع كل هذه المخترعات ... ! ولا يذكرون إسم الله إطلاقاً ... أما المؤمن فيقول : مبارك أنت يارب الذى خلقت هذا العقل البشرى ، ووهبته كل هذه الإمكانيات ، وكشفت له ما وضعته فى الطبيعة من قوى ... إن كان عبيدك الترابيون يعرفون كل هذا ، فكم وكم تكون أنت يا غير المحدود ، القادر على كل شئ ؟! وهكذا يقوى إيمان المؤمن بإرجاعه كل قوة وكل عجيبة إلى الله ...

ب - مثال آخر : يمرض إنسان بمرض خطير . ويستطيع طبيب أن ينقذه من الموت فيشفى . وينذهل المريض وأقرباؤه من مهارة الطبيب ، ويشكرونه فى الجرائد ويمدحونه سبب الشفاء . أما الله فلا يتردد إسمه مطلقاً على أفواههم . ولكن المؤمن يقول : نشكر الله الذى شفى المريض ، وكانت يده مع يد الطبيب .

ج - مثال ثالث : إنسان يتعرض لحادث تصادم يكاد يودى بحياته ، لولا أن سائق العربة يوقفها بمهارة على بعد سنتيمترات من الرجل . ويصرخ الناس : يا لمهارة السائق ! بينما المؤمن يقول : لقد منح الله هذا الإنسان عمراً جديداً ...

ليتك فى كل حادث ، تبحث عن أصبع الله فيه ، ليقوى إيمانك .

إبحث عن حكمة الله وعمل الله فى كل ما يمر بك من الأحداث اليومية ن حينئذ ستجد الله كائناً أمامك كل يوم ، تلمسه وتتعامل معه ، وتشعر بوجوده فى كل ما يمر بك من صغيرة وكبيرة . وبهذا يزداد إيمانك يوماً بعد يوم .

د - مثال رابع : المؤمن إذا مر على حديقة ورأى زهرة من الزهور ، لا يكتفى بالتمتع بشكلها ورائحتها كما يفعل العلمانيون ... إنما يقف أمامها منذ هلاً ويقول : ما هذا الجمال الذى خلقته يارب ؟! وما الألوان العجيبة التى يعجز أمهر الفنانين عن أن يصنعوا مثلها ... لاشك أن الزهور الصناعية جميلة ومتقنة ، ولكنها ليست فى هذا التناسق ، كما أنها لا حياة فيها ، ولا نضارة ، ولا رائحة لها . إنها جمال ميت ... !

حقاً ، إن التأمل فى البيعة بهذا الأسلوب ، يقوى الإيمان ...

أهل العالم يتأملون البيعة منفردة ، قائمة بذاتها ، وقد فصلوها عن الله . أما الذى يريد أن يقوى إيمانه فإنه يرى الله فى الطبيعة ... أليست هى صنعة يدية ؟ ... وهكذا كان داود النبى يقول " السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه (مز١٩ : ١) . أتراك تعجب بليلة قمرية جميلة ، دون أن تمجد الله خالق القمر ؟! تذكر الله هكذا ، ليكون الله بالنسبة إليك حقيقة عملية ، وليس مجرد حقيقة عقلية تثبتها البراهين ... بهذا تحيا مع الله كل يوم .

إن أردت أن يقوى إيمانك ، لا يفضل مخلوقات الله على الله .

لا تبهرك الطبيعة ، ولا تنسى الله خالقها . لا يبهرك العقل البشرى وتصرفه فى المادة . وإنما قل : عجيب أنت يارب ! كيف خلقت المادة هكذا ، بهذا الخاصية وبهذا المفعول ، بحيث يمكن للعقل أن يستخدمها فى كل هذه الأغراض ... ! أترانا نعجب بطبيب يستخلص دواء من مادة معينة ، بينما ننسى الله الذى وضع هذه الخاصية فى تلك المادة ، حتى يمكنها أن تخدم غرض الطبيب ... ! أمر آخر يمكنه أن يقوى إيمانك وهو :

٨ -إتخذ الرب صديقاً لك :

لو فعلت هذا ، لأمكن أن يقوى إيمانك ، لأنك ستكون علاقة مع الله وتتحدث معه بدالة بلا خوف ، فتتوطد صلتك به . كثيرون ينظرون إلى الرب كمجرد إله أو سيد . ولكن هل نظرت إليه أيضاً كصديق ومحب ، تثق به وبمحته وبإخلاصه لك . إنه يقرع على بابك ، ويطلب إليك أن تفتح له كصديق ، فيدخل ويتعشى معك وأنت معه (رؤ٣ : ٢٠) . إن قيلت صداقة الله ومحبته ، ستدخل فى الإيمان الحقيقى ... تشتاق إلى رؤياه كصديق ، وتحكى له أسرارك ، وتتمتع بعشرته ومحبته ... وتحرص كصدق له ألا خدش شعوره أو تغضبه . وهو نفسه سيكشف لك أسراره ، كما كشف لإبراهيم (تك ١٨ : ١٧) . إن الله يريدك هكذا ، لأنه قال " لا أعود أسميكم عبيداً ... بل أحباء " (يو ١٥ : ١٥) ... إتخذه إذن كصديق أو كأب ، تؤمن بأبوته ومحبته ، كما تؤمن بسلطانه وقدرته . تحدثه عن أسرارك ، ويحدثك عن أسراره .

من قصص الصداقة والصراحة مع الله ، مسح إيليا لأليشع نبياً .

قال الرب يوماً لإيليا النبى العظيم إذهب " مسح ياهو بن نمشى ملكاً على إسرائيل ... وامسح أليشع بن شافات ، نبياً عوضاً عنك " (١مل ١٩ : ١٦) . لم يقل إيليا : حسناً يارب أن أمسح ياهو ملكاً . ولكن كيف أمسح نبياً عوضاً عنى ؟ وهل استغنيت عن خدماتى ؟ هل يحدث هذا بعد تعنى الكثير من أجلك ، وبعد وقوفى ضد آخاب الملك وزوجته إيزابل ، وبعد تخليصى البلاد من كل أنبياء العل وأنبياء السوارى ؟ ... هل تغيرت محبتك لى ؟! لم يقل شياً من هذا ، ولم يشك فى محبة الله ، بل فعل كما أمره ، واثقاً من محبة الله ومن حكمته . بل اعتبرها دالة وصداقة بينه وبين الله ، بها يشركه الله معه فى تنفيذ الخطة الإلهية ، حتى لو كان منها مسح نبى عوضاً عنه . فهذا لا يدل على أن الصداقة بينه وبين الله قد انتهت أو نقصت . بدليل أن الله رفعه إليه إلى السماء فى مجد (٢مل ٢ : ١١) . وبدليل أنه ظهر معه بعد زمن على جبل التجلى يتحدث إليه (٩ :٤) . إنها المحبة التى يصارحه بها الله ، حتى فى الأمور التى تمسه . وكان مسح نبى عوضاً عنه ، مقدمة لترقيته إلى حالة أفضل ، هى أعظم من نبى ...

٩ - صلاة لأجل الإيمان :

أطلب من أجل إيمانك فى صلاتك ، لكى ينمو ويزداد .

قل له : إعطنى يارب أن أؤمن بك الإيمان كله . إعطنى أن أحبك وأثق بك فى كل شئ ، وأؤمن أنك تفعل بى خيراً مهما كانت الدنيا مظلمة أمامى . إشعرنى بأن عقلى أصغر بكثير من أن يفهم حكمتك وأحكامك . أنا أعرف أنك صانع الخيرات ، وأنك محب ، وأنك ترى كل شئ ، وقادر على كل شئ . ومع ذلك كثيراً ما أضعف ... فأعن ضعف إيمانى ...

الفصل التاسع

الشيطان يعمل باستمرار ، وبكل جهده ، على إضعاف إيمان المؤمنين .

ويحاول هو وأعوانه أن يضلوا ولو أمكن المختارين أيضاً " (متى ٢٤ : ٢٤) . ولا يكفى هؤلاء مجرد إضعاف الإيمان ، بل يحاولون أن يوصلوا فريستهم حتى إلى الإرتداد . وهكذا فى آخر الأيام يرتد كثيرون عن الإيمان " تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين " (١ تى ٤ : ١) . وما أخطر قول الكتاب فى المجئ الثانى للمسيح " ولكن متى جاء ابن الإنسان ، ألعله يجد الإيمان على الأرض (لو ١٨ : ٨) . فما هى وسائل الشيطان فى إضعاف الإيمان ؟ إنها كثيرة : بعضها عنيف جداً . وبعضها هادئ قد لا يحسه أحد :

١ـ الذات :

كثيراً ما تقف الذات ضد الله ، وترفضه لأنه ضد رغباتها الخاطئة :

تشعر الذات أن الله يحد حريتها ، التى تشتهى أشياء لا يوافق الله عليها فلكى تتمتع بهذه (الحرية) أو بهذا التسيب ، تنفصل عن الله ، كما انفصل الإبن الضال عن بيت أبيه (لو ١٥ : ١١ ـ ١٤) ، لكى ينفق ماله حسب هواه ... أو ترفض الله . ولعل الوجوديين الملحدين من أمثلة الرافضين لله . وهؤلاء صار شعارهم هو :

من الخير أن الله لا يوجد ، لكى أوجد أنا ...

وهؤلاء قد أخطأوا فهم المعنى الحقيقى للوجود ، والمعنى الحقيقى للحرية . فليست الحرية هى أن يفعل الإنسان ما يشاء ، فقد تكون مشيئته خاطئة . إنما الحرية الحقيقية هى أن يتحرر الإنسان من كل شئ يشينه ... يتحرر من العادات الرديئة التى تستعبده ، ومن الشهوات الدنسة التى تنجسه . ويتحرر من سيطرة المادة عليه ، هذه التى تمنع روحه من إنطلاقها ومن العشرة مع الله التى هى الجود الحقيقى ... ومن معوقات الذات للإيمان ، رغبة الإنسان فى الشعور بذاته ، فى القوة والعظمة والكبرياء ... وهنا يرى الله منافساً له ...

وهكذا وجد هيرودس أن مولود بيت لحم سينافسه الملك ، فرفض الإيمان

به ، وحاول أن يتخلص منه بقتله ... وكان من أمثال هيرودس أيضاً ، الكتبة والفريسيون ، الذين رأوا أن المسيح قد أخذ مكانتهم وشعبيتهم كمعلم . فقال بعضهم لبعض " أنظروا إنكم لا تنفعون شيئاً . هوذا العالم قد ذهب وراءه " (يو ١٢ : ١٩) . ومن أجل الذات أيضاً رفض كل هؤلاء الإيمان بقيامة المسيح ، لئلا تكون دليلاً يجلب عليهم دم ذلك البار (أع ٥ : ٢٨) ... إن الذات من أكبر معرقلات الإيمان ، لذلك قال الرب :

" من أراد أن يتبعنى ، فلينكر ذاته ... " (متى ١٦ : ٢٤) .

وقال أيضاً " من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها " (متى ١٠ : ٣٩) . وهكذا نجد أن القديس بولس الرسول ، من أجل الإيمان ، يقول " لست أحتسب لشئ ، ولا نفسى ثمينة عندى " (أع ٢٠ : ٢٤) ، " بل أنى أحسب كل شئ أيضاً خسارة ، من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى ، الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح وأوجد فيه " (فى ٣ : ٨ ، ٩) . فهل أنت كذلك ؟ أم ...

هل إيمانك يتعطل بسبب ذاتك ؟ بسبب رغباتك وغرائزك وأفكارك وشهواتك ؟!

هل هناك تعارض بين الله وذاتك ؟ إن كان كذلك ، إنكر ذاتك . قاومها . إنتصر عليها . لأن مالك روحه خير من مالك مدينة (أم ١٦ : ٣٢) . إن الكتبة والفريسيين والكهنة والشيوخ ، كانوا يحرصون على ذاتهم حرصاً خاطئاً . كانت فى ذات كل منهم عيون ، وكان المسيح يكشفها ، حتى

دون أن يتكلم عنها . بمجرد المقارنة تتكشف . لذلك كانوا يكرهونه ، ولم يؤمنوا به ، لأنه نور يهتك ظلمتهم ... ووقفت ذاتهم – التى تود أن تتغطى – عقبة فى طريق إيمانهم .

لا ننس أن الشيطان نفسه ، كانت سبباً فى ضياع إيمانه .

وذلك حين فكر كيف تكبر هذه الذات ... كيف يصعد إلى السموات ، ويرتفع فوق كواكب الله ، ويصير مثل العلى (اش ١٤ : ١٤) . فوقفت (عظمة) ذاته ضد الإيمان بالله . أما الملائكة الأطهار فاحتفظوا بمكانتهم ، لأنهم فى إيمانهم بالله حسبوا أنفسهم " خدامه العاملين مرضاته "(مز١٠٣ :٢١) .

كثيرون أنفسهم جميلة فى أعينهم . ذاتهم هى صنمهم .

يمنعهم عن حياة الإيمان : محبة الذات ، والإعتداد بالذات ، والرغبة فى تكبير الذات وتفخيم الذات ، وتحقيق شهوات الذات ، والهروب من كل من يكشف هذه الذات أو يظهر مساوئها ... وهكذا ير يدون أن تحيا ذاتهم فى جو من التدليل والمجاملة والمديح . يتضايقون من كل كلمة صريحة ومن كل تأنيب وكل تأديب . فكيف يمكنهم أن يحيوا فى الإيمان ؟!إن كنت كذلك أصلح ذاتك لكى تتضع أمام الله ، فتحيا فى الإيمان ... كذلك من الأمور التى تضعف الإيمان :

٢ - سيطرة الحواس :

وفى هذا وقع القديس توما الرسول حينما رفض الإيمان بقيامة الرب ، وقال " إن أبصر فى يديه أثر المسامير ، وأضع يدى فى جنبه ، لا أؤمن " (يو ٢٠ : ٢٥) وقد تنازل الله لضعف توما ، وسمح له أن يتأكد بحواسه قائلاً له " ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً " ، ووبخه قائلاً " لأنك رأيتنى يا توما آمنت ؟! طوبى للذين آمنوا دون أن يروا " (يو ٢٠ : ٢٧ ، ٢٩) . هذا الذى يبصره الإنسان ، نسميه عياناً لا إيماناً . ولكنه قد يؤدى إلى الإيمان ...

أهذا إيمان ضعيف ؟ هناك ما هو أسوأ : أى الذى يرى ولا يؤمن .

مثال ذلك : الكهنة الذين رأوا القبر الفارغ ولم يؤمنوا بالقيامة . والكتبة والفريسيون الذين رأوا معجزات المسيح كشفاء المولود أعمى وإقامة الموتى ولم يؤمنوا . هؤلاء رافضون للإيمان لأسباب فى قلوبهم . وينطبق عليهم قول أبينا إبراهيم لغنى لعازر " ولا إن قام واحد من الموتى يصدقون " (لو ١٦ : ٣١) .

٣ - إخضاع الإيمان للعقل :

وقد قلنا قبلاً إن العقل له حدود لا يتعداها ، وإن الإيمان مستوى أعلى منه . ولكن هناك أشخاصاً يريدون أن تعى عقولهم اللا محدود ، والمعجزات ، وما هو فوق إدراكهم ، وإلا فانهم يرفضون كل هذا ! ... يريدون أن تخضع اللاهوتيان كلها للفحص العلمى ... وهذا غير ممكن منطقياً . وليس من العقل ، أن يخضع غير المحدود للعقل الذى هو محدود ! ولعل من أمثلة هذا فى أيامنا ما يعرف فى بعض المعاهد باسم علم اللاهوت الجديد **N e w Theology** حيث يريدون إخضاع الوحى والمعجزة للبحث العلمى البحث ، أو لمجرد التفسير الرمزي . وبهذا ينكرون كثيراً من المعجزات ومن قصص الكتاب ، ويدخلونها فى علم الأساطير **Mythology** !! حقاً إن العقل يضل ، إذا حاول أن يرتئى فوق ما ينبغى له أن يرتئى (رو ١٢ : ٣) . وبهذا ينحرف عن الإيمان ، ويحاول أن يقود غيره فى نفس الإنحراف .

٤ ـ معاشرة الشكاكين :

كما أن معاشرة رجال الإيمان تقوى الإيمان ، كذلك معاشرة الشكاكين تغرس الشك فى العقول والقلوب ، إن كانت بمداومة ، أو من النوع العميق التأثير ، أو كان المستوى الخاضع للشكوى أقل فى المعرفة أو المستوى العقلى ، أو كان غير عميق فى الإيمان .

ولهذا فإن الكتاب يمنع من مخالطة المنحرفين فى إيمان

هم وفى أفكارهم .

يقول القديس يوحنا الرسول " إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة " (٢يو ١٠ ، ١١) . وهكذا منعت الكنيسة الخلطة بالهرطقة والمبتدعين ... وكم من أناس خالطوا جماعات غير مسيحية مثل شهود يهوه والسبتيين ، فكانت النتيجة أنهم انحرفوا فى تياراتها . وكم من أعضاء فى الكنيسة خالطوا طوائف غريبة أو ملحدين ، فتأثرت معتقداتهم بهم إلى حد بعيد .

وحتى من جهة السلوك والروحيات ، مخالطة الشكاكين تضعف الإيمان :

قد تحدث لك تجربة أو مشكلة وتقبلها فى إيمان ، وتسلم الأمر لله شاكراً إياه على كل حال . ثم يزورك شخص قليل الإيمان ، فيظل يشرح لك خطورة الموضوع ، ويخيفك جداً من نتائجه ، حتى تفقد سلامك القلبى ، ويضعف إيمانك فى حفظ الله وتقلق ... لذلك كن حريصاً جداً فى اختيار من تعاشرهم وتختلط بأفكارهم . وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى تضعف الإيمان وهى :

٥ ـ الإنقياد وضعف الشخصية :

من هذا النوع ، مريم المجدلية : لقد رأت القبر الفارغ ، وسمعت بشارة الملاك ، بل إنها رأت السيد المسيح نفسه بعد قيامته ، وأمسكت بقدميه ، وسمعت صوته ، وكلفها برسالة ... ولكنها مع ذلك قالت ثلاث مرات " أخذوا سيدى ، ولست أعلم أين وضعوه " (يو ٢٠ : ٢ ، ١٣ ، ١٥) . وفى هذا إنكار للقيامة . فما السر فى هذا التحول ؟ وكيف ضعف إيمانها بعدما رأت المسيح وكلمته ؟ (مر١٦ : ٩ ، مت ٢٨ : ٩) كانت المجدلية صغيرة فى سنها . وقد ضعفت شخصيتها أمام الشائعات التى نشرها كهنة اليهود ضد القيامة.كما ضعفت أمام عدم تصديق التلاميذ أولاً للقيامة (مر١٦ : ١١، ١٣، ١٤) . فبدأت تلعب بها الشكوك والأوهام ، ورددت بفمها ما سمعته من شائعات .

لم يستطيع إيمان المجدلية أن يصمد أمام الشائعات وكلام الناس ...

فاهتزت من الداخل بسبب التأثير الخارجى الضاغط ، وانقادت إليه ... ! وكثير من الناس يهتزون من الداخل ، ويتحولون عن إيمانهم الأول ، عقيدة أو سلوكاً ، بسبب استهزاء الناس . وبسبب أن شخصيتهم أضعف من أن تصمد . إن الله يريد أن تكون شخصياتكم قوية . وكما يقول الرسول :

مستعدين كل حين ، لإجابة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم" (١ بط ٣ : ١٥) .

إن أولاد الله لا يليق بهم أن يكونوا ضعفاء ، من النوع الذى يهتز إيمانه ، أو تهتز رو حياته ، وينقاد لأى فكر خارجى . بل إنهم يعملون بقول الرسول " إذن يا إخوتى الأحباء ، **كونوا راسخين غير متزعزعين** ... **" (١كو ١٥ : ٥٨)** . أيضاً من النوع الذى تحول عن إيمانه بسبب الإنقياد : **أمنا حواء** . فالكلام الذى سمعته من الحية ، جعلها تتحول عن إيمانها ، وينتهى الأمر بطردها من الجنة !

ما أكثر الذين ينقادون وراء الشائعات ويصدقونها . وما أكثر من يرددون كلاماً عن المجئ الثانى ويصدقه الناس . ويقولون إن (المسيح الدجال) Anti Christ قد ولد ، وأنه فى ولاية بأمريكا ، وأن عمره الآن ١٧ سنة !! وأن العالم سينتهى فى هذه السنه أو غيرها !! وما أكثر التواريخ التى حددها شهود يهوه والسبتيون عن المجئ الثانى ، ولم يتم منها شئ ...

وقد يضعف إيمان البعض وينقادون وراء من يدعى الرؤى والأحلام .

ويظنون أن ما يدعيه من الرؤى والأحلام ، كلها حقيقية ومن الله ! ثم ينخدعون بما يقوله من كلام ، ولو ضد معتقداتهم أو مبادئهم الروحية . ولقد حذر الرب من هؤلاء منذ أيام موسى النبى فقال : " إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلماً ، وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها ، قائلاً : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها . فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم . لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ... "(تث ١٣: ١- ٣)
إن الإنقياد من الإسباب التى تضعف الإيمان . وكذلك من أسبابه :

٦ - الخوف :

الخوف يضعف الإيمان يؤدى إلى الخوف .

القديس بطرس ، الرسول العظيم ، لما خاف أنكر المسيح ، وسب ولعن وحلف أنه لا يعرف الرجل (متى ٢٦ : ٧٤) . وهكذا ضعف إيمانه . بل قال له المسيح قبلها " طلبت من أجلك لئلا يفنى إيمانك " (لو ٢٢ : ٣٢) . كثيرون فقدوا إيمانهم بسبب خوفهم . ولهذا فإن سفر الرؤيا وضع الخائفين فى مقدمة الهالك فقال " وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون ... فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت " (رؤ٢١ : ٨) . ووضعه الخائفين قبل غير المؤمنين ، ربما المقصود بها الخائفين الذين الذين بسبب خوفهم يصيرون غير مؤمنين . بيلاطس البنطى ، كان مؤمناً فى أعماقه أن يسوع الناصرى برئ من التهم التى ألصقها به اليهود . وكان واثقاً أنهم أسلموه حسداً . وقد حاول أن يطلقه . وقال عنه " هذا البار " ... ولكنه أخيراً استلم لضعفه ، وأسلم المسيح للصلب ، إذ خاف أن يقال عنه إنه ضد قيصر ... أما الإنسان الروحى ، فهو يفقد إطلاقاً ، لأنه لا يخاف ... ومن الأمور التى تضعف الإيمان أيضاً :

٧ - الشهوة :

كثيرون فقدوا إيمانهم بسبب الشهوة . ولعل من أمثلتهم ديماس مساعد بولس الرسول فى الكرازة والتبشير ، الذى قال عنه القديس بولس أخيراً " ديماس قد تركنى ، لأنه أحب العالم الحاضر " (٢ تى ٤ : ١٠) . ومحبة العالم تضعف الإيمان ، لأنها عداوة لله (يع ٤ : ٤) . ومن أمثلة الذين فقدوا إيمانهم بسبب الشهوة : الشاب الغنى ... هذا ترك المسيح " ومضى حزيناً " لأنه " كان ذا أموال كثيرة " (متى ١٩ : ٢٢) . إذن شهوة المال يمكن أن تضعف الإيمان : وما أكثر الذين تركوا المسيح من أجل إمرأة أو منصب ...

شهوة النساء ضيعت إيمان سليمان الحكيم ، أحكم أهل الأرض ...

وذلك أنه " أحب نساء غريبة " (١ مل ١١ : ١) . وكان فى زمان شيخوخة سليمان وأن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتاروت الهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ... " (١مل ١١: ٣ - ٦) ... إلى هذا الحد سقط هذا الحكيم العظيم ، ولو أننا نؤمن أنه تاب فى أواخر أيامه . وكان سفر الجامعة من دلائل توبته .

وشهوة المال أضاعت إيمان حنانيا وسفيراً ، فهلكا .

فوقعا فى " الكذب على الله " (أع ٥ : ٤) ، وأيضاً فى " تجربة روح الرب " (أع ٥ : ٩) . ومات الإثنان هالكين ...

وشهوة المال أيضاً ضيعت إيمان بلعام . وكان نبياً وله نبوءات جميلة عن المسيح (عدد٢٢ - ٢٤) . وأخيراً وقع فى ضلالة لأجل أجرة الإثم " (٢بط ٢ : ١٥) . وهكذا كان معثرة لكل الشعب ، وعلم بالاق طريق الخطية (رؤ٢ : ١٤) ... فهلك وأهلك غيره ...

وشهوة العظمة والتقدم على الآخرين ، أضاعت إيمان كثيرين :

لعل من بين هؤلاء " ديوتر يفس " الذى كان " يحب أن يكون الأول " . لذلك قاوم القديس يوحنا الحبيب ، وطرد إخوة كثيرين من الكنيسة (٣يو ١٠) .

وشهوة الألوهية ضيعت إيمان كاروب عظيم ، فتحول إلى شيطان ، وكان من قبل ملاكاً من نور ، له بهاء ومجد ...

إن الشهوات من أكبر الأمور التى تضعف الإيمان أو تضيعه . ومن الأسباب التى تضعف الإيمان ، الضيقات وضغط الظروف الخارجية .

٨ - الظروف الخارجية :

ولعل من أمثلة هذا الأمر جدعون لما ضعف إيمانه فى عناية الله : قال له الملاك " الرب معك يا جبار البأس . فقال له جدعون : أسألك يا سيدى إذا كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه (البلايا) ؟ وأين كل عجائبه التى أخبرنا بها آباؤنا ... والآن قد رفضنا الرب وجعلنا فى كف مديان " (قض ٦ : ١٢ ، ١٣) .

وهكذا قد تضعف الإيمان الضيقة إذا طالت ، أو إذا اشتدت .

التلاميذ لما اشتدت عليهم الأمواج فى السفينة ، ضعف إيمانهم وشكوا قائلين للرب " أما يهمك أننا نهلك " (مر ٤ : ٣٨ - ٤٠) . وبنو إسرائيل لما طالت بهم المدة فى عبودية فرعون ، صغرت نفوسهم وضعف إيمانهم فى الخلاص (خر ٤ : ١) . هناك سبب خطير آخر يسبب ضعف الإيمان ، وهو :

٩ - ضلالات الشياطين :

ومن هذه الضلالات : الرؤى الكاذبة . فإن الشيطان - لكى يخدع البشر - يستطيع أن " يغير شكله إلى شبه ملاك نور " (٢ كو ١١ : ١٤) . بل يستطيع أن يقدم عجائب كاذبة كما قيل عن المقاوم ضد المسيح فى آخر الزمان " الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين " (٢ تس ٢ : ٩ ، ١٠) . وقال الرسول إن كل هذا سوف يسبب الإرتداد قبل مجئ المسيح (٢ تس ٢ : ٣) ، أى ضياع الإيمان بسبب هذه الضلالات الشيطانية التى تخدع الناس . إن الشيطان قد يخدع الناس بأحلام وبنبوءات كاذبة ، وبأفكار ضلالات وبدع ، لكى يحطم الإيمان فى قلوبهم ... بل قد يرسل إليهم " مسحاء كذبة وأنبياء كذبة . ويعطون آيات عظيمة وعجائب (متى ٢٤ : ٢٤) . وقد يقول لهم هذا هو المسيح . ولذلك سبق الرب فأنذر وقال " إن قال لكم أحد : هوذا المسيح هنا أو هناك ، فلا تصدقوا " (متى ٢٤ : ٢٣) .وكل هذا يحتاج إلى إفراز ، وكما قال الرسول " لا تصدقوا كل روح . بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله . لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم

١٠ - الشك :

" (١يو ٤ : ١) . ومن الأشياء الأساسية التى تحارب الإيمان :

الشك يضعف الإيمان . وضعف الإيمان يولد الشك ...

تماماً كما قلنا عن الخوف . وكلاهما يسبب الآخر ، أو ينتج عنه .

أ - وكان الشك من الحروب التى حارب بها الشيطان أبوينا الأولين ليضيع إيمانهما . فقال لهما " أحقاً قال لكما الله ... ؟! كلا ، لن تموتا " (تك ٣ : ١ - ٤) .

فإن حاربتك الشكوك من جهة وجود الله أو بعض العقائد الأساسية ، فلا تخف . هذه محاربات من العدو ، وليست إنكاراً منك للإيمان .

وبخاصة إن كان قلبك رافضاً لها . لذلك فى مثل هذه الحالات يجب أن تصلى لكى يرفع الرب عنك هذه الحروب . وأن تغير مجرى تفكيرك بأن تنقل أفكارك إلى موضوع آخر تنشغل به . أما إن كانت الشكوك منك ، وأنت مقتنع بها ، فعليك أن تعالجها بفهم إيمانى سليم ، بسؤال المتخصصين فى اللاهوت ، وبقراءة الكتب المفيدة فى موضوعك . على أن هناك حروباً أخرى للشك أخف من هذه ، نذكر منها :

ب - الشك فى معونة الله ، أو فى أن الله قد تخلى عنك .

إن الرب يوبخ على هذا الشك قائلاً " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت " (متى ١٤ : ٣١) . وهنا يربط بين الشك وقلة الإيمان . لأن الإنسان القوى الإيمان لا يمكن مطلقاً أن يشك فى محبة الله ورعايته . ولكن الضيقات الكثيرة المستمرة ، قد تضغط على القلب أحياناً فيقول : " لماذا يارب تقف بعيداً ، لماذا تختفى فى أزمنة الضيق " (مز ١٠ : ١) . أنه عتاب ، وليس ضعفاً فى الإيمان . وقد يبدو للمرتل أن الرب يقف بعيداً . ولكنه يرقب بكل حب ، وبكل حرص على سلامة أولاده . كالنسر الذى يعلم فراخه الطيران ، وكالأب الذى يعلم إبنه العوم . يتركه قليلاً ليتدرب ويكسب خبرة . ويرقبه بكل حرص . فإن رأى خطراً يحيق به ، يسرع إلى حمله وإنقاذه . هناك أيضاً مثال الأم التى تعلم إبنها المشى . فتتركه ليقوم ويسقط وتشتد عظامه وتقوى عضلاته ويتعلم . أما إن كانت فى كل صرخة منه ، تسرع وتحمله على كتفها فإنها بهذا ستضره . لأنه لن يتعلم ، ولن تقوى عظامه كما ينبغى ...

إن أزمنة الضيق ، هى مدرسة لنا ، نتدرب فيها على الصلاة والتمسك بالله . ونتدرب فيها على الإيمان ، ونرى فيها كيف أن الله يعمل ، وبقوة ...

ويقيناً أن الله يعمل ، مهما كنت لا تراه ولا تلمس عمله . إن الإنسان قد يشك إن نظر فقط إلى المتاعب ، وليس إلى الله . وهكذا نرى أن بطرس قد شك حينما نظر إلى الماء الذى تحت قدميه ، ولم ينظر إلى المسيح الذى يمسك بيديه . وإذ هبط إيمان بطرس ، هبط هو أيضاً إلى الماء ، ولكن إلى لحظة ، وأنقذه الرب . قد يكون أولاد الله " كحملان وسط ذئاب " ، ولكنهم لا يشكون ولا يخافون . فمادام الراعى الصالح وسط الحملان ، فلن تقوى عليهم الذئاب ولا حتى الأسود . إن أبانا إبرام لم يشك فى محبة الله وعنايته ، على الرغم من صعوبة الأمر الصادر اليه بتقديم إبنه اسحق محرقة . وكأنه يقول :

إن قلبى ليس أحن من قلب الله على إبنى إسحق ،

ولا أنا أستطيع أن أدبر مستقبل إسحق كما يدبره الله ،

فمادام الرب موافقاً على شئ ، فلا بد أن أوافق أنا عليه أيضاً بالضرورة ، لأنى لست فى حكمة الله ولا فى محبته . لتكن إذن مشيئته .

إن الذى لايشك ، يعيش دائماً فى راحة وفى سلام .

يحيا دائماً مطمئناً ، لا تتعبه العوامل الخارجية . ولا يفرض على الله حلولاً معينة ، يتضايق إن لم ينفذها الله ! بل هو يرضى بكل حل يأتى من عند الله حسب وافر حكمته الإلهية . ما أكثر المتاعب التى تولدها الشكوك فى القلب وفى الفكر ... مثل القلق والخوف والاضطراب وقلة المحبة . مجرد الشك نفسه هو تعب . نار تحرق ...

الشك يعالج بالثقة ويعالج بالحب . فمن يحب شخصاً لا يشك فيه . وهكذا

نحن مع الله ، لا نشك فيه ، لأننا نحبه ونثق به . وإيماننا به لا يسمح لنا مطلقاً أن نشك فى معاملاتـــه الإلهية لنا وفى معاملاته الأبوية لنا . مبارك هو فى كل ما يعمله .

إن الإيمان يقتل الخوف والشك . والخوف والشك قد يقتلان الإيمان .

تمسك إذن بإيمانك ، لأنه هو العنصر الأقوى ، وهو العنصر المنتصر دائماً . حينئذ سوف تحيا فـــى فرح وسلام واطمئنان ، بلا خوف ، بلا شك ، كل أيام حياتك .

الفصل العاشر

هل أنتم فى الإيمان

" جربوا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان ؟
امتحنوا أنفسكم " (٢ كو ١٣ : ٥) .

هناك طرق كثيرة لاختبار الإيمان ، يمكن استنتاجها من كل ما سبق . ونريد أن نقول ههنا إن الرسول – فى حياة الإيمان – لا يتكلم عن مجرد الإيمان ، أى الإعتراف باسم الرب ، وإنما يذكر بالتخصيص :

١ - الإيمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) :

إختبر إذن إيمانك بالمحبة حسبما شرحها الرسول فى (١ كو ١٣) ... المحبة تتأنى ، وتترفق ، ولا تحسد ، ولا تتفاخر ، ولا تنتفخ ، ولا تقبح ، ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم ... وتحتمل كل شئ ، وتصدق كل شئ ، وترجو كل شئ ، وتصبر على كل شئ " (١ كو ١٣ : ٤ – ٧) . فهل توجد فيك كل هذه الصفات ، ليكون إيمانك سليماً ؟ لقد قال الرسول " إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليست لى محبة ، فلست شيئاً " (١ كو ١٣ : ٢) . بهذه المحبة يمكنك أن تختبر إيمانك ... بل إنك تختبر الإيمان بالأعمال عموماً .

٢ - تختبر الإيمان بالأعمال عموماً :

ذلك لأن الرسول يقول " وأنا أريك بأعمالى إيمانى " (يع ٢ : ١٨) . فبالأعمال تختبر إيمانك هل هو إيمان حى أم ميت لأن " الإيمان بدون أعمال ميت " (يع ٢ : ٢٠) . و الإيمان الميت لا يقدر أن يخلص أحداً (يع ٢ : ١٤) . والقديس بولس الرسول أكثر من تحدث عن أهمية الإيمان،نراه يقول :

" يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال ينكرونه " (تى ١ : ١٦) .

وفى رسالته إلى تيموثاوس يشدد كثيراً على هذه النقطة ، فيقول إن " الذى لا يعتنى بخاصته ... قد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن " (١ تى ٥ : ٨) . وإن الأرمل اللائى رفضن نذر البتولية قد " رفضن الأيمان الأول " (١ تى ٥ : ١٢) . وإن الذين يحبون المال ، قد " ضلوا عن الإيمان " (١ تى ٦ : ١٠) . وإن المهتمين بالكلام الباطل الدنس " قد زاغوا من جهة الإيمان " (١ تى ٦ : ٢١) .

إذن سلوك الإنسان يمكن أن يكون اختباراً لإيمانه .

هوذا القديس يوحنا الرسول يقول " من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس الحق فيه " (١ يو ٢ : ٤) ، " من قال إنه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضاً " (١ يو ٢ : ٦) . وبهذا نقول :

٣ - نختبر إيماننا بنقاوة القلب :

ولماذا ؟ لأن الذى يؤمن أن الله كائن أمامه ، وأن الله قدوس يكره الخطية ، وأنه عادل يجازى كل إنسان حسب أعماله ، هذا يخاف أن يخطئ أمام الله ، ويستحى أن يخطئ ، كما يستحى أن يجرح قلب الله المحب ، إن كان يؤمن بمحبة الله . هوذا الرسول يقول " كل من يخطئ ، لم يبصره ولا عرفه " (١ يو ٣ : ٦) . يقيناً إن الذى يخطئ ، لا يكون فى فكره أثناء الخطية أن الله يرى ويسمع ويسجل ... ويقيناً أن الذى يظلم ، لا يكون مؤمناً تماماً أن هناك إلهاً موجوداً " يحكم للمظلومين " (مز ١٤٦: ٧) . ولذلك إذا قيل لظالم " ربنا موجود " يخاف ويرتعش . ويقيناً إن المتكبر ، أو المنتفخ بالمديح ، لا يشعر مطلقاً أنه قائم أمام الله . إن هيرودس لما خاطب الشعب ومدحوه قائلين " هذا صوت إله ، لا صوت إنسان " فابتهج بهذا المديح ، لم يكن عنده إيمان أن الله أمامه ، ذلك " ضربه ملاك الرب ، لأنه لم يعط مجداً لله . فصار يأكله الدود ومات " (أع ١٢ : ٢١ – ٢٣) . المؤمن الحقيقى يمكن اختباره أيضاً بالزهد وعدم اشتهاء الأمور التى فى العالم ، فالمؤمنون مكتفون بما هم فيه (فى ٤ : ١١) .

وبالنسبة لاحتياجاتهم ، لا يحتجون على شئ ، ولا يحتاجون إلى شئ

نقطة أخرى فى حياة الإيمان هى :

٤ - يختبر الإيمان بما يمنحه من قوة :

هل لديك قوة الإيمان التى تشعر بها أن كل شئ مستطاع ؟

وكما قال الرب " كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر٩ : ٢٣) . هل تشعر أن هناك شيئاً صعباً أو مستحيلاً ، أو لا يصدق إيمانك بأن الله يمكن أن يعمله ؟ هل تقف فى شك أمام الأشياء التى تحتاج إلى معجزة ؟! هل يمكنك أن تقول كما قال القديس بولس الرسول " أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى " (فى ٤ : ١٣) . هل تهزك العقبات والصعوبات بحيث تقول " لا فائدة " ؟! هل يحاربك اليأس ؟

إن اليأس ضد الإيمان ، وضد الرجاء ، من كل ناحية .

لاشك إن المنتحرين فقدوا إيمانهم ورجاءهم ، وشعروا أنه لا حل ، كما فقدوا الإيمان بحقيقة الحياة بعد الموت فى الأبدية ومصير المنتحرين فيها . وكذلك الذين استسلموا للأمر الواقع ، أو للضغوط الخارجية ، وخضعوا للخطية ، لم يؤمنوا إطلاقاً أن هناك قوة يمكن أن تسندهم وتخلصهم . إن الإيمان قوة لمن يستطيع أن يستخدمها فى ثقة بلا شك .

أخشى أن يكون الإيمان فى أيدى البعض كعصا أليشع فى يد جيحزى

(٢ مل ٤ : ٣١) . وأخشى أن يكون الصليب فى أيدى البعض كذلك : يحسنون حمله ورشمه وليس الإيمان به . معهم الصليب وليست معهم قوته التى هى كامنة فى الإيمان به وبعمله ... هل تظنون أن عصا موسى هى التى شقت البحر الأحمر ؟ أم هو إيمان موسى حامل هذه العصا ومستخدمها باسم الرب ؟

فهل لك الإيمان التى كانت لموسى حينما ضرب البحر بعصاه ؟

إنك كثيراً ما تصلى . ولكن هل فى صلاتك الإيمان الذى يعطى لهذه الصلاة قوة ؟ ما أعجب قول الكتاب حين قال عن إيليا إنه " صلى صلاة " صلى صلاة " (يع ٥ : ١٧) . وهذه الصلاة لم تكن عادية كصلوات باقى الناس ، إذ أنها استطاعت أن تغلق السماء مرة ، وأن تفتحها مرة أخرى ...
إختبر إيمانك إذن بالقوة التى لك نتيجة علاقتك بالله .

٥ - إختبار الإيمان فى الضيقة :

الضيقات تحل بكل أحد . ولكن هناك فرقاً كبيراً بين المؤمن وغير المؤمن فى الروح التى تستقبل بها الضيقة .

إن كانت الضيقة تفقدك سلامك ، فاعرف أن إيمانك ضعيف .

المؤمن يستقبل الضيقة مؤمناً أنها للخير ، وأن الله سيحلها . فلا يتضايق فى داخله ، ولا يضطرب ، ولا تنشغل أفكاره بها ، ولا يتعب قلبه بالحزن والألم . إنما يواجه الضيقة بثلاث آيات هى " كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الرب " (رو٨ : ٢٨) ، و " إحسبوه كل فرح ياخوتى ،حينما تقعون فى تجارب متنوعة " (يع ١ : ٢) . وأيضاً " كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر٩ : ٢٣) . وبهذا الإيمان يفرح قلبه فى الضيقة ، ويتعزى الناس بفرحه .

المؤمن يضع بينه وبين الضيقة ، فتختفى الضيقة ويظهر الله .

ويذكر يد الله التى كانت مع القديسين فى كل ضيقاتهم " وملاك حضرته خلصهم " (اش ٦٣ : ٩) . ويذكر ما حدث لموسى ويوسف وداود وأيوب ودانيال وللثلاثة فتية . وكل هذه الذكريات تزيده إيماناً بالله وثقة فى تدخله وعمله . وهكذا لا يتزعزع فى الضيقة ، ولا شك ولا يحزن ولا يحمل هماً ... بل يقول مع المرتل " نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصادين . الفخ انكسر ونحن نجونا ، عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض " (مز ١٢٤) .

يقول للرب : مادمت أنت موافق على الضيقة ، فأنا أفرح بها .

ليس فقط أقبلها ، أو أرضى بها ، إنما أحسبه كل فرح أن الرب يعطيني بركة هذه الضيقة ... ما أجمل ما قيل عن الآباء الرسل بعد أن جلدوهم " وأما هم فذهبوا فرحين ... لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه " (أع ٥ : ٤١) .

المؤمن مهما بدت كل الأبواب مغلقة ، يرى باب الله مفتوحاً .

إنه يؤمن بالله ، الذى بيده مفاتيح السماء والأرض " الذى يفتح ولا أحد يغلق " (رؤ٣ : ٧) . ويرتل هذا المؤمن مع القديس يوحنا الرائى قائلاً " بعد هذا نظرت ، وإذا باب مفتوح فى السماء "(رؤ٥ : ١) . بل اختبار الإيمان بأن ترى جميع الأبواب مفتوحة أمامك . وكلما ترى أمامك باباً مغلقاً : ليس هذا هو الباب الذى يريدنى الله أن أدخل منه . هناك أبواب أخرى كثيرة مفتوحة عند الله . وهناك أبواب مغلقة الآن سيفتحها فيما بعد ... وبهذا الإيمان تستريح .

٦ - إختبار الإيمان ببعض الواصايا :

أ - من الوسائل التى يختبر بها الإيمان : العشور أو العطاء عموماً . وبخاصة إذا كان هذا المؤمن محتاجاً ، أو مطلوب منه أن يعطى من أعوازه . ضعيف الإيمان يقول " إن كان المرتب كله أو الإيراد كله أو لا يكفى ، فكيف يكون الحال إن نقص أيضاً عشرة ؟! . أما المؤمن فإنه يقول : إن إعطائى العشور، يجعل الباقى مباركاً فيكفى ويزيد ...

إن العشور إختبار روحى عرضه الرب نفسه فى سفر ملاخى فقال :

هاتوا جميع العشور ... وجربونى بهذا ، قال رب الجنود : إن كنت لا أفتح لكم كوى السماء ، وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع ... (ملا ٣ : ١٠) . فإن كان الشخص - على الرغم من هذا الوعد الإلهى - لا يدفع ، ، فلا شك أن إيمانه يكون ضعيفاً فى وعد الله وفى بركته . وقبل ذلك فى وصيته ...

إن كان هذا فى العشور ، فماذا عن وصيته : من سألك فاعطه ؟

(متى ٥ : ٤٢) . وماذا عن وصية " إذهب بع كل مالك وأعطه للفقراء " (متى ١٩ : ٢١) . وماذا عن وصية " بيعوا أمتعتكم [أو مالكم] واعطوا صدقة " (لو ١٢ : ٣٣) ؟ بهذا يختبر إيمانك : هل الله قادر أن يعولك بما يبقى بعد دفع نصيب الفقراء ؟ وأيضاً هل هو قادر أن يعولك دون أن تكنز لك كنوزاً على الأرض (متى ٦ : ١٩) .

ب - من الوصايا التى يختبر بها الإيمان أيضاً : حفظ يوم الرب .

هل أنت تفرح بيوم الرب لكى تقضيه مع الرب ؟ أم أنت تفضل عليه مشغوليات أخرى عديدة ؟ هل أمورك العالمية أهم فى نظرك ؟ وهل تأجيلها أمر لا تحتمله ولا تستطيع ترتيبه بتنظيم وقتك ؟ إنه إختبار لإيمانك .

ج - وكذلك من الإختبارت الهامة : مدى محبتك للصلاة :

هل تنساها وتمر عليك أوقات كثيرة لا تصلى فيها ؟ وهل إذا وقفت للصلاة ، تفكر كيف تنتهى منها لتنشغل بأمور أخرى تهمك بالأكثر ؟ وهل أثناء صلاتك تسرح فى أمور أخرى ، وتنسى أنك واقف أمام الله تخاطبه ؟ إن كنت كذلك فلا يكون إيمانك قوياً بالله وبعشرته وبلذة الحديث معه ... وهكذا إن وضعنا باقى أمور الصلاة ، وباقى بنود العمل الروحى ، لتكون مجالاً لا ختبار إيمانك .

٧ - إختر إيمانك بمدى اهتمامكبأبديتك :

هل أنت مركز كل فكرك وقلبك فى هذا العالم الحاضر ، ومدى نجاحك فيه ، ومدى تمتعك به ؟ أم أنت تهمك أبديتك ، ويهمك مصيرك فى العالم الآخر ، وتعد العدة لتلك الحياة كما يقول الرب " لتكن أحقاؤكم ممنطقة ، ومصابيحكم موقدة . وأنتم تشبهون أناساً ينظرون سيدهم متى يرجع من العرس ، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت . طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم ساهرين " (لو ١٢ : ٣٥ - ٣٧) .

إن السهر الروحى إختبار عميق للإيمان .

أما الغافل عن أبديته ، فأين هو إيمانه ؟! أين إيمانه بالحياة الأخرى ، والإستعداد لها بالتوبة والعمل الصالح ، وبعشرة الله ومحبته ، وبالزيت جاهزاً فى مصباحه ... ؟!

٨ - إختبر إيمانك بصحة العقيدة :

هل هو إيمانك سليم بعيد عن البدع وأخطاء العقيدة ، وعن المفاهيم الخاصة ؟ وهل هو " الإيمان المسلم مرة للقديسين " (يه ٣) . الذى أودعه الرسل أناساً أمناء كانوا أكفاء أن يعملوا آخرين أيضاً (٢تى ٢ : ٢) . وهل هو موافق لكل تعليم الكتاب ، أم تتبع فيه أناساً يعلمون فكرهم الخاص ؟ بهذا إختبر إيمانك .

أقول هذا لأن العقيدة لها تأثير عملى فى حياة الإنسان الروحية .

٩ - إختبر إيمانك بصفات الإيمان السليم :

هل إيمانك إيمان عملى ؟ هل هو ثابت لا تزعزعه الظروف ؟ هل هو لا يضعف ولا يشك ؟ هل هو مملؤ بالسلام لا يعرف خوفاً ؟ وهل تعرف حياة التسليم وطاعة الإيمان ، وهل إيمانك إيمان حى مثمر ؟ وهل هو ينمو ويزداد ؟ وهل ... لست أريد أن أذكر باقى صفات الإيمان لتمتحن بها نفسك .

إنما إن أردت مزيداً من الموازين ، يمكن أن تعيد قراءة هذا الكتاب من أوله .